2 me Année, No. 48.

Lundi-4-6-1934

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠ | ٤٠٥٣٠

العـــدد ٤٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ صفر سنة ١٣٥٣ — ٤ يونيو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

صفحة

٩٢١ لذة الشراء وآفة الملكية : الأستاذ احمد امين

٩٢٤ تأمل ساعة : احمد حسن الزيات

٩٢٥ حمار بوريدان : السيد محمد روحى فيصل

٩٢٧ الانقلابات السياسية المعاصرة : الأستاذ محمد عبد الله عنان

٩٢٩ ساعة عند أمير الشعراء : كمال ابراهيم

٩٣٣ اختلاف المزاج وأثره فى الأفراد والأمم : ن . ش

٩٣٤ فى المحكمة الصلحية : الأستاذ حسن عبد الجواد

٩٣٥ بين المرى ودانتى : محمود أحمد النشوى

٩٣٧ سلطان باشا : للغفور له احمد باشا تيمور

٩٣٩ يقظة الشرق : الآنسة فلك طرزى

٩٤٠ حقائق : عامر عبد الوهاب عامر

٩٤١ تاريخ الأدب : الأستاذ محمود محمد

٩٤٤ الوادى (قصيدة) : الشاعر الدمشقى أنور العطار

٩٤٥ حنين الى نخلة (قصيدة) : فتى شط العرب

٩٤٦ خولة بنت الأزور الكندى : م . أسعد طلس

٩٤٨ الدوق دى لاروشفوكو : الدكتور حسن صادق

٩٥٠ جاليليو : عبد الرحمن فهمى

٩٥٢ الأمير السعيد (قصة) : ترجمة اليوزباشى احمد الطاهر

٩٥٧ بحث فى نقد الأدب العربى (كتاب) مسعود (رواية)

٩٥٨ وحى النسيب : فى شعر شوقى (كتاب)

٩٥٨ المدنية الاسلامية وأثرها فى أوربا (كتاب)

٩٥٨ العامى النبيل (رواية) سعادة الاسرة (قصة) م. الخفيف

٩٥٩ ديوان الفراتى

٩٥٩ صحيفة مدارس الأقباط الخيرية الكبرى بطنطا :

٩٥٩ صحيفة مدارس الأهرام

لذة الشراء وآفة الملكية

للأستاذ احمد امين

بالأمس ضحك مني بائع الكتب القديمة ، إذ رآني أقلب فى الكتب ، وأذهب ذات اليمين وذات الشمال ، وأقف على الكرسى وأنزل من عليه ، والكتب بعضها بال عتيق قد غلف بالتراب وأكلته الأرضة ، وكلها وضعت حيث اتفق ، لم يعن فيها بترتيب حسب الموضوع ولا حسب الحجم ولا حسب أى شىء ، ولم يبذل أى جهد فى تنظيفها وعرضها ، فكتب فى الأرض ، وكتب فى السماء ، وكتب فى الرف ، وكتب على المقاعد ، وكتب فى الممشى ، البائع رجل تقدمت به السن ، زهد البيع وزهد الشراء ، وإنما يبيع ويشترى لأنه اعتاد أن يبيع ويشترى ، كل ما فى أمره أنه فضل أن يجلس فى الدكان على أن يجلس فى البيت إذ يرى الرائحين والغادين ، ويستقبل الزائرين ، ومن حين الى حين يبيع كتاباً أو كتابين .

وسط هذه المكتبة المغمورة بالكتب ، والمغمورة بالأتربة ،

والمغمورة بالفوضى ، انغمست ببذلتي البيضاء ، القريبة العهد بالكواء ، أبحث عن كتب نادرة أشتريها ، وأتصفح كتباً أتعرف قيمتها ، فضحك إذ رأى غراماً بالكتب يشبه الجنون ، ورغبة في البحث والشراء تشبه الخبل .

لا تضحك — ياسيدي — فانما هي لذة الشراء أصيب الناس بها جميعاً ، وان اختلفوا في مقدار الأصابة ، فقد تهور فيها قوم ، واعتدل فيها آخرون ، وهي ظاهرة في منتهى القوة والغرابة ، تتجلى بأجلى مظاهرها في الهواة ، فهذا هاوي سجاجيد يجن جنونه إذ يرى سجادة قديمة ، صنعت في أصفهان في القرن الخامس عشر أو السادس عشر ، يحتقرها الرائي العادي ، ولا يرضى أن يأخذها ولا بالمجان ، ويشمئز أن يراها في بيته ، فاذا الهاوي يجري ريقه ويتحلب فمه ، كأنه جائع سغب أمام أكلة لذيذة ، وقد لا يجد ثمنها فيستدينه ، وقد ينقصه الضروري من وسائل العيش ومرافق الحياة فيعمى عنه ، ولا يرى أمامه إلا السجادة وشراءها ، ولتكن النتيجة بعدُ ماتكون ، وسيتكفل الزمن بسداد الدين ، وليحمل الزمن وحده عبء ما يحتاج اليه من ضرورات العيش ، بل سواء حلها أم لم يحلها ، فليس في الوجود ما يعدل هذه السجادة ، فلأشترينها ثم لتنطبق السماء بعد على الأرض .

وكذلك الشأن في هاوي طوابع البريد ، وهاوي الكتب ، وكل الهواة ، تمت عندهم على مر الزمان لذة الشراء لما يهوون ، وغذاها كثرة الشراء وأحاديث الهواة الذين يحيطون به واظهارهم الأعجاب الشديد بما اقتنى ، فاذا نظروا الى سجادة عجبوا من لونها الباهت ، وخيطانها التي هلهلها الزمن ، وصورها غير المنسجمة ، ونحو ذلك مما يدل على اسنانها في القدم ، وكلما كان خيطها أبلى ، ونسيجها أبسط ، وتصويرها أتفه ، كانت أشد استخراجاً للعجب ، وكانوا أكثر لها تقويما ، وأشد لها إعظاما ، وكانت لذة الشراء عند الهواة أشد طغياناً ، وهم أمامها أشد ضعفاً .

هذه اللذة — لذة الشراء — يستغلها أرباب « المزاد » فهم يثيرونها الى أقصى حدودها ، ويبلغون بها مبلغاً جنونياً ، فتحتدم اللذات ، ويخضع الشارون لتأثير الاستهواء ، ويتغالون في أثمان ما يعرض حتى قد تفوق أثمان الشيء الجديد ، ولكن الشيء الجديد يشترى والعقل الواعي في سلطانه ، وأما أشياء « المزاد » فتشترى والعقل الواعي قد أسدل عليه ستار من الاستغواء والاستهواء ، ومن أعجب ما في هذا النوع أنك ترى الكثيرين يندمون اذا اشتروا ، ويندمون اذا لم يشتروا .

ولذة الشراء هي السبب في أنك تشتري لزوجتك وبناتك الثوب الجميل ، أو الحذاء الظريف ، فتعرضه عليهن فلا يعجبهن ، ثم يخرجن ويشترين ما هو أقل منه جمالاً وظرفاً ثم يعدن راضيات ، قد يكون السبب أن ما اشتريته ليس على ذوقهن ، وأن هناك فرقاً كبيراً بين ذوق الرجال وذوق النساء ، وأنك إذ تشتري لهن تحكم ذوقك في ذوقهن ، ولكن يظهر لي أن ذلك في كثير من الأحيان ليس السبب الصحيح ، وإنما السبب الصحيح أنك إذ تشتري لهن تحرمهن لذة الشراء ، وهي في نفسها قد تفوق الشيء المشترى نفسه ، ويفسر هذا أن السيدة قد تخرج وليس في نفسها شيء معين تشتريه ، ولا تحس حاجة الى شيء يشترى ، وانما هي — في أعماق نفسها — تريد أن تتذى لذة الشراء عندها ، فما هي إلا أن تمر في دكان سمان أو شملا أو شيكوريل حتى تشتري ، وتشتري كثيراً ، وتشتري ما لم يخطر لها على بال ، ثم ترجع راضية لأنها أشبعت لذة الشراء عندها .

ولو أن الناس — وخاصة السيدات — اقتصروا على شراء ما هم في حاجة إليه لأغلقت دكاكين كثيرة ، ولقل العرض وقل الطلب — ولكن لذة الشراء عندهم دفعتهم أن يشتروا ما لم يحتاجوا ، وأوهمتهم في كثير من الأحيان بالحاجة الى ما ليس لهم به حاجة — وإلا فما حاجتي الى شراء كل هذه الكتب والمكتبات العامة مفتحة الأبواب ؟ وما الحاجة الى شراء نسختين من كتاب واحد والتعلل في ذلك بأتفه الأسباب ؟ وما الحاجة الى ملء البيت بهذا الأثاث وأقل منه يكفي ويزيده حسناً ؟ وما الحاجة الى شراء المرأة هذه الثياب المختلفة الألوان والأنواع ، وقد لا تحتاج

إليها مرة فى الحياة ؟ — لا شيء إلا لذة الشراء .

ويحدث فى هذا الباب غرائب . فما وقوفك على الدكاكين واستعراضك ما فيها الا نوع مما تدعو إليه هذه اللذة ، فان اشتريت فبها ، وإلا فهو نوع من ظل اللذة كالسكير يتلذذ قليلاً من رؤية الشاربين ولو لم يشرب معهم ، والمحب يسر بعض الشيء من رؤية المحبين يتواصلون ولو هجره هو حبيبه .

***

قد كان من المعقول والطبيعي أن الناس — وهم يتلذذون هذه اللذة الشديدة القوية بالشراء — يتلذذون كذلك لذة شديدة قوية بالملكية ثم يستمرون على التنعم بها ، والتمتع الدائم بملكها ، ولكن جرى الأمر فى هذا العالم على غير ما يتوقع ، فهم راغبون أشد الرغبة فى ملك الأشياء ، والملكية تذهب بلذتها . فالناس مولعون أشد الولع بالملكية حتى لو استطاعوا أن يملكوا القمر فى السماء لملكوه ، ولو ملكوه لحرموا جماله ، وهم مولعون أن يملكوا كل شيء الى درجة الجنون ، حتى لو استطاعوا أن يسلبوا السماء زرقتها ، والمزارع بهجتها ، والبحار جمالها ليجعلوها فى حوزتهم لفعلوا — وقد ادرك سهرة الباعة هذا الجنون فى الانسان فتفننوا فى عرض ما يبيعون بحسن الوضع وتزويق المعروض وايهام الترخيص وكثرة الاعلان فى شكل جذاب يوقع فى الوهم أن الشراء فرصة لن تعود ، وأن ملكية الشيء تملأ الحياة سعادة وغبطة — ولو أنك دخلت بيوت الأغنياء والطبقة الوسطى لرأيت كثيراً مما فيها لا حاجة للبيت إليه ، بل قد حمل أكثر مما يطيق حتى ذهبت بساطته ، وزاد تعقده ، واحتاج الى زيادة الخدم والاتباع للعناية بنظافته وترتيبه ، وجعل الحياة أكثر تعقداً وأشد ارتباكاً ، وما دعا الى هذا كله إلا لذة الشراء وجنون الملكية ، وما قصر الفقراء فى هذا إلا أنهم لا يجدون ثمن ما يطلبون ، ولو أتيح لهم ذلك لأفرطوا فى الشراء افراط الأغنياء ، ولولا جنون الملكية لكانت الحياة أبسط ، ووسائل العيش أيسر ، والتنعم بها أتم .

وكأن الطبيعة العادلة أرادت أن تعاقب على هذا النوع من الجنون ، فسلبت المالك أكثر ما يتصور من لذة ، فالشيء جميل لذيذ ممتع ، فيه كل ما يتمنى المرء من سعادة ما لم يملك ، فاذا ملك لم يجد فيه المالك كل ما يتصور ويتخيل ، وأصبح أقل قيمة مما يأمل ، ولا تزال قيمته فى نقصان حتى يصبح عادياً تافهاً كأنه والحرمان سواء .

فالقصر الجميل هو أجمل ما يكون فى عين من يمر به ويقل جماله شيئاً فشيئاً فى عين من له به علاقة ما ، حتى اذا بلغت المالك وجدت القصر لا قيمة له فى نظره ، ووجدت شعوره به كشعور الفلاح نحو كوخه ، والفقير نحو عشه ، وكلما طال الزمن بالغني تفه القصر فى نظره ، وحرم حرماناً تاماً من لذة الملكية ، وصارت لذته خيالاً لمن يمر به ويتصور نعيم سكانه أو ملاكه .

وهذه قاعدة الحياة ، فأجل أيام الزوجية قبيل الزواج أيام يتخيل المرء أو المرأة ما ينتظر من نعيم مقيم ، وأيام يسبح خياله أو خيالها فى الآمال والأمانى التى لا حد لها ، ثم تصدمه أو تصدمها الملكية أو شبه الملكية ، فاذا كل شيء عادى مألوف .

وأجن بالكتاب قبيل شرائه وعند شرائه ، وأبيت ليلة وأنا أحلم به ولا أسمح لنفسى بالنوم ليلة الشراء قبل تصفحه ومعرفة ما فيه أو على الأقل عناوينه ، ثم يوضع فى المكتبة وينسى وكأنه لم يملك .

والأملاك الواسعة والغنى الوافر أمل الناس جميعاً ، ولو درسوا فى دقة — أربابها وحالهم وشعورهم لوجدوا الفرق الواسع بين ما يتخيلون وما يدرسون ، ولوجدوا أن أكثر الأغنياء يعانون من غنائم ما لو عقلوا وخف عنهم جنون الملكية لنزلوا للمجتمع عن شيء مما يملكون ويعانون ، فسعدوا وأسعدوا .

أليس عجيباً فى هذه الحياة أن ألذ شيء فى الملكية خيالها ؟

أحمد أمين

مجموعة السنة الأولى للرسالة

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشاً غير أجرة البريد فى مصر وبخمسين قرشاً فى البلدان الأخرى .

من ذكريات العراق

تأمل ساعة*

بقلم احمد حسن الزيات

فى الشرفة الوسيعة من فندق (كارلتون) جلست أطالع فى صفحة دجلة ما خطته يدُ القرون . وكانت شمس الأصيل تنفض تبرها على أمواج النهر وسطوح الكرخ وحواشى الأفق ، والطبيعة الأنيقة تنعم بالصفاء والبهاء والدفء ، بعد ما أجهدها رعد الأمس وبرقه ، وأغصّها وابل الغمام وودقه ، فالسماء مصرية الأديم ، والجو عبهرى النسيم ، والأفق الغربى مزدان بقزعات من السحاب الأبيض الرقيق ، والماء قد استحال لجينه نضارا من طول ما حمل اليه السيل من كنوز الجبل .

أخذت أصوّب النظر وأصعده فى النهر والجسر والشاطىء . فأرى أنماطاً من الناس ، وأخلاطاً من الأجناس ، وصوراً من الأشياء ، تنكرها العين ويعرفها القلب ، لأنها شرقية ، ولأنها عربية ، ولأنها مظلومة ! ....

ذكّرتنى هذه المناظرُ مناظرَ غابت فى سويداء القلب ولفائفه : ذكرنى تقابلُ الرصافة والكرخ على دجلة ، تقابلَ القاهرة والجيزة على النيل الأعلى ، والمنصورة وطلخا على النيل الأسفل ! .

وفى هذه الأماكن الحبيبة مدرج طفولتى وشبابى ، ومنتقى أحبتى وصحابى . فهاجت شجونى وسالت شؤونى . فوضعت جبهتى المضطرمة على سياج الشرفة البارد ، وعدت بالذاكرة وشيكاً إلى بغداد . ثم انطويت على نفسى ، وأخذت أتفكر وأتذكر وأُعِمّ فى غيابة الماضى ، حتى انقطع ما بينى وبين الحاضر ، وانحى من حوالىّ العالم بأسره

وحينئذ انبعث من جانب الكرخ صوت شادٍ يُرَجِّع بالنغم العربى الشجى ، فخيل إلىّ أنى أرى دجلة (الأمين) . وجسر (ابن الجهم) ، وكرخ الجن والخلعاء من أهل بغداد المترفة ؛ ووقع فى سمعى أن هذا الشادى يقول :

سقى الله باب الكرخ من مُنحدَر ... الى قصر وضاح فبركة الزلل

مساحب أذيال القيان ومسرح ال ... حسان ومثوى كل خرق معذل

وصوِّر لى أنى أسمع غناء الملاحين فى الزلازل ، وأبصر (الدلفين) و (العقاب)[1] يمخران العباب بالأمين وحسانه وقيانه ونداماه ! . . . وتراءت لى على الشاطئ الشرقى قصور البرامكة الحزينة ، يقابلها على الشاطئ الغربى قصور الخلفاء والأمراء تعج بالجوارى والغلمان ، وتضج بالشعراء والندمان ، وتموج بالسادة والقادة والجند ، وتفيض بالنعيم والجلال والعظمة ، وتمثلت فى خاطرى بغداد الأمس كباريس اليوم فى عدد سكانها ، وفخامة بنيانها ، واتساع رقعتها ، وازدهار مدنيتها ، وانبعاث الحضارة من مجامعها ومنابرها ، وانبثاق الهداية من جوامعها[2] ومنائرها . إلا أن باريس تشع فى أجواء مشرقة تسطع فيها شموس أخرى تضارعها وتصارعها ، أما بغداد التى عنت لها وجوه القياصرة ، وكان من جندها أبناء الدهاقين والأكاسرة ، فكانت شمساً واحدة ترسل الضوء والحرارة والحياة فى القارات الثلاث فتبدد ما غشيها من ظلام وخمود ونوم

لا أدرى متى كنت أصحو من نشوة هذه الذكريات الحلوة المرة ، لو لم يُعِدْنى الى وجودى صوت منكر من أصوات الحضارة الحديثة ، قد انطلق من جوف مركب بخارى عظيم ، كان يشق بجيزومه صدر دجلة ، فسرحت طرفى فى الأفق فاذا شمس الشرق تجاهد ظلام الغرب ، واذا القزعات قد ارتد بياضها سواداً ضربت فى حواشيه حمرة الشفق ، فصارت كأجنحة الغربان الدامية ، أو كقطع من الفحم علقت بأطرافها نار حامية . ثم نظرت شمالا فاذا المكان الذى سجدت فيه رسل (شارلمان) امام الرشيد يخفق فوقه علم غريب[3] ، لا هو أسود ولا أبيض ولا أخضر[4] واذا قطع من السحائب السود قد انعقدت فوقه . فقلت هنا مبددة هناك . . . فقلت فى نفسى ليت شعرى أهذه بقايا أعلام الرشيد والمأمون ، أم هذه أثواب الحداد لبستها سماء العراق على السعدون[5] ؟ !

الزيات

* كتبت فى ٢٦ أغسطس ١٩٢٩ على الشرفة الشرقية فى بغداد

(١) الدلفين والعقاب مركبان من مراكب الأمين (٢) جوامع جمع جامعة

(٣) ذلك العلم الانجليزى على دار المعتمد البريطانى فى الكرخ

(٤) هى ألوان اعلام العرب الثلاثة فى القارات الثلاث

(٥) كانت العراق ايام كتب لا تزال مروعة باغتيال زعيمها الكبير عبد المحسن السعدون

حمار بوريدان

بقلم السيد محمد روحي فيصل

لعل أشد الأدواء فتكاً في النفوس ، وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً ، وأعمقها أثراً وتغلغلاً ، هذا الضعف في الارادة أو التردد في العمل . يقعد بالمرء عن تحقيق رغائبه وآماله ، ويمسكه عن تنفيذ مشاريعه وخططه ، ويحول بينه وبين الانتاج المتصل الذي يفيد الأمة ويفيد الانسانية ثم يدفعها نحو المثل العليا الثلاثة : الخير والجمال والحقيقة

ومن العجب أن التردد على شدة فتكه وكثرة ذيوعه وعمق تغلغله لا يحسب حسابه ولا يلتفت إليه كأنما هو عرض من هذه الأعراض الهينة اليسيرة التي لا قيمة ولا وزن ، أو كأنما هو شذوذ خفيف ضئيل في اتجاه مجرى الارادة الصحيحة القوية ! ! ولعمر الحق ما شيء أنكس للرقي والمدنية وأدعى الى الجمود والموت مثل التردد والاحجام « يصيب المرء في حياته العملية فيغل يده ، ويشل عقله ، ويتركه فريسة للألم من ضعفه ، والخجل من صحبه . تظهر أعراضه في صغار الأمور وكبارها ، فيكون في انتقاء الثوب واختيار الحالة ، وفي الاقدام على الزيارة القصيرة والرحلة الطويلة ، ويدخل في لذات الرجل وأعماله ، كما يدخل في إدباره وإقباله » (١)

أجل ! يكون التردد في زورة الصديق ، وافتتاح الحانوت ، وارتياد المقهى كما يكون في طلب العلم والقوت والمال . وسواء أدخل في حقير الأمور أم جليلها فانما هو يقف النهضة ، ويبطىء الحركة ، ويعوق عن التجدد والابداع

لقد كشف السيكولوجيون عن نفسية المتردد ، وأوضحوا المظاهر المتباينة العنيفة التي تطغى عليه وتأخذه بالحيرة والقلق فقالوا إن كل فعل إرادي لا بد أن يجتاز على التوالي أربعة أطوار :

(١) تصور غاية الفعل ، وإدراك المقصود من تحقيقه

(٢) طور الموازنة والمفاضلة . ذلك بأن كل فعل إرادي له بواعث قلبية وجدانية تخلقها الأهواء والميولُ ، وتغذيها العواطف والنزعات ، وتنميها المشاعر والأحاسيس . وعوامل عقلية ذهنية مصدرها المنطق والمحاكمة والمعرفة . فالمرء في هذا الطور يوازن بين البواعث القلبية والعوامل العقلية ويفاضل بينهما ، ويقوم بعملية حسابية يزن بها قيمهما

(٣) طور التقرير ، وذلك أن المفاضلة بين البواعث والعوامل لا بد أن تسفر عن نتيجة هي حل الفعل وتقريره

(٤) طور التنفيذ — والتنفيذ تاج يزين هام الفعل الارادي ، ويتمم محاسنه

شاء بعضهم أن يحذف من هذا التقسيم طور التنفيذ لأن الفعل الارادي في نظره غير مرتبط من الوجهة النفسية بالتنفيذ أو عدمه . على أنه ينبغي أن يكون ثمة بدا : في تحقيق الفعل واتجاه نحو العمل . لذلك قلنا إن التنفيذ « تاج يتمم محاسن الفعل الارادي ويزين هامته »

فالتردد إنما يكون في الطور الثاني ، طور الموازنة والمفاضلة . والتردد إنما تتجاذبه البواعث والعوامل ، يوازن بينهما ويفاضل بين قيمهما ثم لا ينتهي من موازنته ومفاضلته ، ولا يضع حداً لهذا الاضطراب والتفوضي . تناجيه بواعث القلب فيتفيأ ظلاله ويطمئن الى أفنانه ، ثم لا تلبث عوامل العقل أن تخرجه من طمأنينته وتغزو نفسه كلها . فهو ساحة حرب ما تكاد البواعث القلبية تنتصر فيها حيناً إلا لتتخذل وتتراجع أمام قوة العوامل العقلية ، ورشدة منعتها ، وعظمة سلطانها

هكذا كتب الله على المتردد أن يقف بين بين ، لا يقرر ولا ينفذ وإنما يخضع لطائفة من الاعتبارات النفسية المتعاكسة . وهذه الاعتبارات قد تنشأ عن خصب في الخيال ، وسعة في المعرفة ، وقوة في التفكير . وقد تنشأ عن تيقظ في الحيوية الانفعالية ، واشتداد في الميل والهوى . وتدفق في الرغبة والعاطفة

ومهما يكن منشأ هذه الاعتبارات القوية فان المتردد عضو أشل « يعيش على هامش المجتمع البشري » كما يقول الدكتور بلوندل

* * *

قد تسأل بعد هذا : إذا كان الأمر ما تقول فما شأن الحيوان هنا ؟ ومن يكون بوريدان هذا ؟ وما هي العلاقة التي تصل عالم النفس الانسانية بعالم « الحمير » ؟ ؟

(١) راجع « المتردد » في العدد الخامس من الرسالة

الحق إنه سؤال وجيه ممن لا يعرف وجه الاتصال والتقارب.

فأما بوريدان فهو فيلسوف من فلاسفة اللاهوت والدين المسيحي في العصـور الوسطى ، ولد في مدينة بيتون من أعمال فرنسا الشماليـة وتوفي عام ١٣٦٠ ميلادية . ينتسب الى مدرســـة « السكولاستيك » المشهورة بالجدل الديني والتفكير النبي ، والتي من رجالها « روجر باكون » و « القديس بونا فانتير » و « دونزسكوت » . وأما الحمار فقد شاء بوريدان أن يوضح « حرية الاختيار » في الحياة والنفس بتشبيه طريف ومثل قريب فافترض وجود حمار جائع ظمآن على مسافة معينة واحدة من إناء فيه ماء عذب ، ومعلف فيه تبن وشعير . . . وطفق الحمار يفكر على جوعه وظمئه بأي الأمرين يبدأ : أعلأ بطنه أولاً أم يروى ظمأه ؟ فما يكاد يتجه نحو الماء مثلاً حتى يكفيء راجعاً نحو التبن والشعير ! ! وقد كان في وسعه أن يختار الذي يريد ويلتهم مايهوى ، ولكن الحمار المسكين بقي يفكر على ذلك النحو من المنطق العقيم حتى سقط جثة هامدة ، ومات جوعاً وظمأ ! !

هذه القصة الموجزة الخيالية تصور ، غير حرية الاختيار ، طبيعة التردد وعاقبة المتردد . فأما طبيعة التردد فقد شرحناها من الناحية النفسية ، وأما عاقبة المتردد فهي كما رأيت : الفناء والموت . ذلك بأن الحياة تتطلب السرعة والحركة والعمل لا الجمود والاحجام . وكل من لابس الحياة وخاض غمارها فانما ينبغي له أن يعمل ويعمل ، لا يأبه بالموانع والصعوبات التي قد يصادفها في طريقه وتتعثر بها رجلاه ، وإلا فان مصيره المحتوم التخلف عن الحياة ، والانحدار نحو التفكك والانحلال . يذهب غويو Guyau الى أن العمل المستمر أو الفاعلية الشديدة إنما يجب أن تكون المثل الأعلى في الأخلاق ، لأن الحياة ليست تردداً ومحاسبة وإنما هي عمل وإنتاج Vivre, ce n' est pas calculer, c' est agir.

ولسنا نحب هنا أن نقيد الفاعلية الشديدة بالخيرية والشرية ، وإن شئت فقل إننا لن نتعرض للخيرية والشرية في صدد الحث على الفاعلية الشديدة والجهد الدائم .

وعلم الأخلاق الحديث المبني على التجربة والمشاهدة يأبى ذلك وينفر منه كل النفور . فما يدرينا أن الأمر الذي نحكم بخيريته وشرف غايته يصبح شراً كله اذا نحن طبقناه ومارسناه في الحياة العملية . فالخيرية التي نخلعها على طائفة من الأمور دون أخرى هي خيرية سابقة للتجربة ومتقدمة على للمشاهدة apriari . فلنزاول إذن كل الأمور ولنتصـل بكل شيء ، ولتكن حياتنا ملآى مستفيضة الجوانب ، متصلة الحركة ، قوية الارادة

والارادة العاملة المحركة هي كنه الوجود وأس الكون كما يقرر شوبنهور [1] إذ يعتقد أن الأحياء جميعاً محكومون بارادة باطنية لا شعورية عمياء ، دائبة الهمة والنشاط ، متجددة الشهوة والرغبة ، تسيطر على الفكر والعقل سيطرة عظمى .

إن صاحب الارادة القوية سيد عواطفه وآرائه ، فرغائبه تنقلب آنا الى إرادة فاعلة ، ليس يعرف المستحيل ولا يقر بوجوده في قاموس الأعمال ! !

* * *

وبعد . ما دواء التردد ؟ وكيف السـبيل الى الشفاء من هذا الداء ؟ ذكر أطباء النفس طائفة من العلاجات الناجعة ، منها ماهو لمداواة الجسم ومنها ماهو لمداواة الروح : ينبغي قبل كل شيء ترويض الأعضاء وتقوية الحواس وامتلاك الصحة لأن للارادة أساساً عضوياً ، ولسنا نبالغ اذا قلنا إن قوة العضلات هي الصورة الأولية الابتدائية لقوة الارادة . فالمريض لا يستطيع تحقيق أمانيه لأن جسده قاتر العزم خائر القوى ، وينبغي الطاعة وحب النظام ، فالطفل اذا أطاع غيره فانما يتعلم كيف تكون السيادة على الذات وقهر النفس ، وهنا قد يكون للأسرة والمدرسة الأثر البليغ في ذلك

كذلك ينبغي تثقيف العقل وتهذيب الشعور . أما تثقيف العقل فيكون بالتفكير الصحيح ، والانتباه الثابت ، وتصور غاية الفعل بصورة محسوسة مسهبة ، وإدراك مختلف المذاهب والنحل. وقد قال ديكارت « إن الارادة القوية في العمل تقتضي وضوحاً شديداً في العقل » . وأما تهذيب الشعور فيكون بالميل الى المثل العليا الانسانية ، والاعتدال في الحب والهوى بحيث لا تطغى البواعث القلبية على العوامل العقلية فتجري الموازنة في جو هادىء ثم تسفر عن التقرير والتنفيذ ويسلم المرء مما وقع فيه حمار بوريدان . !

حمص — محمد رضى فيصل

---

(١) راجع الصفحات الأولى من كتابه « العالم إرادة »

الانقلابات السياسية المعاصرة

وأثرها فى تطور التفكير والآداب

للأستاذ محمد عبد الله عنان

من المبادئ الخالدة أن الفكر تراث الانسانية ، وأن ثمار التفكير البشرى ملك حق لجميع الأمم والناس ، وأن العلوم والآداب والفنون لا وطن لها ولا تعرف فوارق الجنس والقومية . وقد كانت هذه المبادئ وما زالت هى الغالبة فى توجيه الفكر الانسانى ؛ واذا كان التفكير يتأثر فى أحيان كثيرة بالعوامل والاعتبارات القومية فالمفروض دائماً أن هذه المؤثرات لا تجنى على المبادئ والحقائق الخالدة . فقد مجدت الحرية مثلا فى كل العصور ، واعتبرت أعز أمنية للشعوب والأفراد وأجدرها بالتضحية ، وقدست حرية الفكر واعتبرت دائماً عنوان الكرامة البشرية ؛ واعتبر الأخاء والمساواة منذ الثورة الفرنسية من أقدس المثل الانسانية . ولكنا نرى اليوم هذه الحقائق تهدر فى أمم عظيمة ، فالحريات بأنواعها تسحق وتذم ، وتعتبر العبودية نظاما ، والخضوع الأعمى وطنية ، والقومية التعصبة تطغى على كل المبادئ والمثل الانسانية ؛ ونرى التفكير والآداب فى هذه الأمم تنزل على وحى السياسة وإرادتها ، وتغدو ألسنة مصفدة لتأييد المبادئ والدعوات الجديدة .

وهذه ظاهرة خطيرة فى عصرنا تستحق الدرس العميق . فمنذ الثورة الفرنسية لم يشهد العالم المتمدن انقلاباً فى النظم الاجتماعية والفكرية كالذى نشهده اليوم كأثر للانقلابات السياسية التى وقعت منذ نهاية الحرب فى كثير من الأمم الأوربية . وقد كانت الحرب الكبرى ذاتها وما ترتب عليها من النتائج السياسية والعسكرية أكبر عامل فى التمهيد لهذه الانقلابات ، فقد هزت الحرب دعائم المجتمع كله ، وقوضت كثيراً من نظمه وآرائه ومعتقداته القديمة ، وعصفت ويلاتها وأزماتها المتوالية بالنفوس والعزائم ، وبثت اليأس والاستكانة الى كثير من المجتمعات ، وظهر أثر ذلك كله واضحاً فى آداب ما بعد الحرب . ونلاحظ فى هذه الفترة أن النزعات الحرة والثورية تغلب على معظم ألوان التفكير والأدب ، وانها تتجه غالباً الى الثورة على المبادئ والآراء القديمة ، سواء فى فهم النظم السياسية أو الاجتماعية ، أو تقدير الفضائل والأخلاق . على أن هذه الآثار العامة ليست كل شىء فى هذا الانقلاب الفكرى العميق الذى نريد أن نتحدث عنه . وانما يمتاز الانقلاب بآثاره المحلية والخاصة ، فهذه الآثار تذهب اليوم فى بعض الأمم الى إنكار الماضى كله والمثل الفكرية والأدبية والانسانية كلها .

وهذه الثورات الفكرية والاجتماعية العميقة ترجع كما قدمنا الى الحركات السياسية والقومية العنيفة التى جاش بها كثير من الأمم عقب الحرب ، فقد كان لهذه الحركات أكبر أثر فى توجيه التفكير والآداب والثقافة . والحقيقة أننا لا نستطيع أن نلاحظ مثل هذا الانقلاب العميق فى مناحى التفكير والآداب إلا حيثما وقع انقلاب سياسى عميق يقوم على إنكار الماضى ومبادئه وآرائه القديمة . ففى روسيا السوفيتية حيث سحقت الثورة دولة القياصرة والمجتمع الروسى القديم بكل ما فيه من نظم ومبادئ وتقاليد ، وقامت نظم سياسية واجتماعية واقتصادية جديدة هى البلشفية ، نرى التفكير الروسى يتميز بلون ثورى عميق ، ونرى نظريات الثورة العالمية ، وسيادة الطبقات العاملة ، والأخاء الدولى ، ونضال الطوائف ، وسحق الرأسمالية وغيرها تغمر الأدب الروسى المعاصر ، ونرى الثقافة الروسية كلها تتجه الى غرس هذه النظريات واعتبارها قوام الحياة الروسية العامة ، وغذاء التفكير والآداب والفنون . ولم يبق من الأدب الروسى القديم مايستحق التقدير فى نظر روسيا البلشفية سوى آثار المفكرين والكتاب الأحرار والثوريين ، مثل ترجنيف ودوستويفسكى وتولستوى والبرنس كروباتكن ، تلك الآثار التى تصف شقاء المجتمع الروسى فى عصر القياصرة ، والتى كانت غذاء للحركة الثورية . وفى تركيا الكمالية نرى نواحى التفكير والثقافة تصطبغ بصبغة غربية جديدة هى أثر مباشر لاتجاه ثورة التجديد التركى ودفعها لتركيا نحو الغرب ، بعد أن لبثت قروناً شرقية آسيوية ، ونرى زعماء تركيا الجديدة يحاولون أن يخلقوا للشعب التركى عقلية جديدة تقوم على نسيان الماضى وبغض دول السلاطين ، وتحقير العصبية الشرقية أو الاسلامية ، وتمجيد الاصلاحات الجديدة ، والاندفاع وراء التيار الغربى . ويذهب زعماء تركيا الجديدة فى غرس النزعة القومية فى التفكير والآداب

الى حدود الاغراق ، فتراهم يغيرون قواعد اللغة التركية وألفاظها ويستبعدون منها الألفاظ المشتقة من لغة أخرى ، ويضعون لتركيا تاريخاً جديداً تغفل فيه الحقائق العلمية والتاريخية الراسخة ، ويقال لنا فيه إن الحضارة التركية هي أساس الحضارة البشرية ، وأن اللغة التركية القديمة هي مصدر اللغات البشرية ، وغير ذلك من المزاعم المضحكة التي تنقضها أبسط الحقائق التاريخيـــة ؛ وهذه المزاعم والنزعات كلها تمثل اليوم بقوة في الأدب التركي الجديد ، ولا يسمح للمفكرين والكتاب الترك أن يعالجوا غيرها أو أن يعالجوها بما يخالف النظريات الرسمية ؛ فالأدب التركي اليوم كالأدب الروسي ، أدب حكومي تشرف عليه الحكومة وتوجهه الى ما ترى فيه تحقيق برنامجها السياسي والاجتماعي .

وقد كانت الفاشستية بلا ريب أعظم حركة سياسية اجتماعية حدثت بعد الحرب ؛ وكان لها في توجيه التفكير والآداب أعظم أثر . ونلاحظ أولاً أن أثر الانقلاب الروسي في هذا التوجيه أبعد مدى من حيث كونه ينكر أسس المجتمع القديم كلها ، سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية ، ولـكن الفاشستية لا تذهب في الهدم الى هذا الحد ؛ وبينما تذهب البلشفية الى تقوية النزعات الثورية والحمرة في حدود الطغيان البلشفي ، إذا بالفاشستية تقمع كل نزعة ثورية أو حمرة تتجه الى محاسبتها . وقد كانت الفاشستية الى ما قبل عامين حركة محلية ايطالية ، ولـكنها تغدو اليوم حركة أوربية عامة تحدث آثارها السياسية والاجتماعية والفكرية في ألمانيا وبولونيا والنمسا وغيرها . ولما كانت الفاشستية حركة طغيان شامل ، فانها تبسط سلطانها على الحركة الفكرية كما تبسطه على كل قوة معنوية أخرى ، وتحاول أن تصفدها في حدود برنامجها ، وأن تسيرها طبقاً لوحيها وارشادها . وهنا فرق جوهري بين موقف الديموقراطية وموقف الفاشستية من الحركة الفكرية ؛ ذلك ان الثورة الديموقراطية تقع دائماً في المحيط العقلي ، ثم تحدث آثارها المادية بعد ذلك في الأنظمة السياسيـة والاجتماعية ؛ ولـكن الفاشستية تقوم بالعكس في المحيط المادي وبوسائل العنف المادية ، ثم تحاول بعـد ذلك أن تغزو الميدان العقلي وأن تجعل من الحركة الفكرية أداة لتوطيد سلطانها كما تجعل من الجيش والأسطول ؛ ومن أهم ظواهر الفاشستية انها تعمل على مطاردة القوى العقلية الممتازة التي لا تخضع لوحيها ، ولا ترعى سوى الأذهان الضئيلة المتواضعة التي تهرع لخدمة كل سلطة جديدة وكل نظام جديد

ويبدو أثر الثورة الفاشستية في الحركة الفكرية الايطالية وفي الحركة الفكرية الألمانية بشكل قوي واضح . ففي ايطاليا تسود المبادئ الفاشستية الرجعية في توجيه التفكير والآداب والفنون والحياة العقلية كلها كما تسود الحياة السياسية والاجتماعية ، وتغمر الثقافة الايطالية في جميع نواحيها ، وتحاول أن تحدث أثرها في توجيه الثقافة العالمية . ولما كانت الفاشستية تنكر الحريات العامة ، فهي لا تعترف بحرية الفكر بل تبغضها وتسحقها بكل قواها ، لأنها ترى في وجودها خطراً على كيانها ؛ وحرية الفكر أسمى مزايا الانتاج العقلي والفني ، واذاً ففي ظل هذا الطغيان الذي يسلب الفكر أقدس حقوقه ، لا يمكن أن يزدهر التفكير الرفيع ، ولا أن تصل الآداب والفنون الى ذرى القوة والصقل ؛ وتغدو الحياة العقلية مطبوعة بطابع التماثل الممل ، لأنها تسير وتسخر طبقاً للوحي القاهر . هذا الى أن التفكير والآداب في هذا الأفق المصطنع قد جردت من أقدس المثل التي استرشدت بها في كل العصور ، فأصبحت تمجد العبودية لأنها أسيرة الطغيان ، وتمجد الحرب لأنها صنيعة القوة الباغية ، وتسرف في إذكاء التعصب القومي لأنها جردت من المثل الانسانية الخالصة . وهذه الظواهر التي هي وليدة الطغيان قبل كل شيء تتجلى اليوم بأوضح ألوانها في ألمانيا على حداثة عهدها بالفاشستية ؛ فان الحركة الوطنية الاشتراكية الألمانية ما كادت تظفر بقلب نظم الحكم في ألمانيا ، واقامة الطغيان على انقاض الديموقراطية ، حتى أخذت تفرض مبادئها ونظرياتها على التفكير والآداب والثقافة الألمانية ؛ وهي اليوم تمثل في الحياة الألمانية بقوة ، ونظرياتها القومية والجنسية المغرقة تطبع التفكير الألماني في جميع نواحيه العلمية والأدبية والفنية ، بل هي تذهب في الجرأة الى حد محاولة التأثير في العقيدة النصرانية وصبغها بصبغتها . والعلم والتفكير والآداب والفنون في ألمانيا تسخر كلها لخدمة الدعوة الوطنية الاشتراكية وتمجيد مبادئ هتلر ، واثبات نظرياته المغرقة في تفوق الجنس الآري على الأجناس الأخرى ، وتفوق السلالة الألمانيـة على سائر المخلوقات ؛ واثبات صلاحيـة الحكم المطلق وفشل الحكم الديموقراطي ؛ وتمجيد

الخضوع المطلق للزعامة ، والانتقاص من قيمة الحريات العامة ، وغير ذلك مما تضمنه برنامج الوطنية الاشتراكية «وانجيل» هتلر . وقد ذهب الوطنيون الاشتراكيون بعيداً فى السيطرة على زمام الحركة العقلية فى ألمانيا ، فبسطوا اشرافهم على الجامعات ، وأصدروا تشريعاً يصفد الصحافة ويجعلها مهنة شبه حكومية ، ويجعل الكتاب دعاة للوطنية الاشتراكية وطغيانها . وكما أن الفاشستية الايطالية بعثت الى الأدب الايطالى بصور رومة القديمة وذكريات الأمبراطورية الرومانية ومجد القياصرة ، وبالطموح الى احياء هذه الذكريات والصور فى حياة ايطاليا وآمالها ، فكذلك بثت الوطنية الاشتراكية فى الأدب الألمانى مثل الأمبراطورية المقدسة الذاهبة ، وصور ألمانيا العسكرية الظافرة الزاهرة تحمل زعامة الجنس الآرى كله ، وتملى على أوربا القديمة ارادتها ومثلها .

وقد كان للانقلابات السياسية والقومية دائماً أثرها فى توجيه التفكير والآداب فى جميع الأمم والعصور ؛ ولكن لعل التاريخ لم يشهد عصراً غمرت فيه القومية المتطرفة والنزعات الرجعية التفكير والآداب كعصرنا ؛ ذلك أن التوجيه القومى المعاصر يذهب الى حد الأغراق ويتخذ صوراً من العنف لم يسمع بها ، ويحاول أن يسيطر على جميع نواحى الحياة العامة ، وأن يتدخل فى صوغ العقلية الفردية فضلا عن صوغ العقلية العامة . ولا ريب ان الحركات القومية تكسب من وراء ذلك قوة ، وربما كسبت الأمم فى بعض نواحى الحياة المادية حيوية جديدة ، ولكن الحركة العقلية تعرض بالعكس لأخطار كثيرة . ذلك لأن الثورات القومية العميقة تقوم على العوامل السياسية قبل كل شىء ، وتستخدم فى سبيل مآربها سلاح الدعوات المغرضة والنظريات الموضوعة التى لا تقرها المثل الانسانية دائماً ، ولا يقرها العلم الخالص والحقائق المنزهة . والثقافات التى تطبعها أهواء السياسة والنظريات المغرضة ، والآداب التى ترغم على تصوير ألوان مصطنعة من الحياة العامة والحياة الفردية ، وتحمل على تمجيد البطولة الزائفة ، وتمجيد العبودية فى عصر النور والحريات ، وامتهان المبادئ والمثل المقدسة ، وتزييف حقائق العلم والتاريخ الراسخة ، هذه الثقافات والآداب ليست جديرة بأن تقود الأمم العظيمة ، وليست جديرة بالأخص بأن تتخذ مكانها بين تراث الانسانية الرفيع .

إن تطور التفكير والآداب على هذا النحو فى أمم عظيمة كايطاليا وألمانيا ، هو بلا ريب ظفر جديد للمبادئ والاعتبارات المادية ، ولكن ظفر للمبادئ والاعتبارات المادية على حساب الحياة العقلية والروحية من ظواهر انحلال الحضارات والأمم ؛ وإن حضارة تمجد فيها العبودية ، وتطارد فيها العلوم والآداب ، لأجدر بالعصور الوسطى منها بعصرنا ؟

محمد عبد الله عنان
المحامى

٥٩ ٥ ٢

من ذكرياتى فى مصر :

ساعة عند أمير الشعراء

لا أزال أذكر تلك الساعة السعيدة التى هبطت فيها مصر لأول مرة فى حياتى عام ١٩٢٩ فقد كانت مليئة بالخواطر ، فياضة بالآمال ، محفوفة بالاحلام . وكانت الفصل بين ماض راحل ، ومستقبل ماثل ، لقد تذكرت وأنا أجتاز ميدان (باب الحديد) وطرقى شاخص الى تمثال (نهضة مصر) القائم وسط ذلك الميدان الفسيح ، انى قد بلغت ما كنت أتشوف له وأصبو اليه ، فها أنا فى تلك المدينة الجميلة التى طالما تاقت الى مرآها نفسى ، وتزع اليها هواى ، وها أنا فى ذلك البلد الأمين الذى كان ملاك خاطرى وقيد ناظرى ، ومعقد أملى ، ومحط رغبتى ، كم كنت أتمنى فى تلك الساعة لو يتاح لى شهود مصر كلها فاجتلى مافيها ، لقد تمثلت أمامى بحضارتها المزيجة من روح الشرق الخالدة ، أو نفسية الغرب الجديدة ، فعملت فيها كل منهما عملها ، فظهرت من الاثنتين ثالثة كانت رباط الشرق بالغرب ، وجماع شخصيتيهما المتباعدتين من أقدم العصور حتى اليوم .

وتمثلت أمامى بأعلامها الميامين ، وأبنائها المقاويل ، وأساتيذها الأماثيل . وشعرائها الفلقين ، أولئك الذين تسمع دوى اسمهم فى انحاء الشرق يملك عليك سمعك ، ويأخذ بمجامع قلبك ، فرفعوا اسم مصر وبنوالها فى الادب والفن مجداً أصبحت به محط الرجال وقبلة الآمال . .

رحم الله (شوقي وحافظ) فقد كنت اذا ذكرت مصر أومرت على خاطري الحيّاة حي جنبات النيل ذكرت قبل كل شيء (شوقي وحافظ) وانهما يقيمان في هذه المدينـــة القائمة في هذا السهل الوسيع ، يحرسها (أبو الهول) الرابض في كنفها ، هازئاً بالزمن ، ساخراً من هذه الحياة الخاطفة . والحق أن (شوقي وحافظ) أقاما لها من المجد ماأخرس كل لسان ، فملكا على الناس اسماعهم ، وانك لتسمع لها صوتاً يرن في الآذان ، حيثما وليت وجهك في هذه البلاد العربية المترامية الأطراف ، فكان مما أردته وأنا في مدينة شوقي وحافظ ان اراها حق الرؤية ، وان أعرفهما حق المعرفة ، وهكذا كان . .

لقد أشربت النفوس حب شوقي فخالط اللحم والدم ، لانها كانت تجد فيه فيضاً من العبقرية لاينضب معينه ، وكنزاً من الابريز يزيد في قدره تعاقب الأيام والسنين ، هذا الى ما كان عليه من عظيم الخلق ، ونبل القصـد ، وسجاحة النفس ، وعفـة اللسان ، وحب الخير ، وصلابة الايمان ، والملاحاة عن بيضة الدين والعربية بما حباه الله من صارم ذرب ، ولسان عضب ، وقول فصل ، يدعمه غزارة العلم ، وضلاعة في التأثير ، وشت الخصوم .

رأيت (شوقي) لأول مرة في دمشق بـ (كازينو الخديوية) وكان بالقرب من الطاولة التي كنت عندها فعرفته من غير دليل ، وعرفت أنه الشاعر العظيم بلا لبس ولا مراء ، وان لم يكن رشدني اليه أحد فما أعظم المثلة بين هذه الاسرة والقسمات وبين تلك التي كنت اتوسمها في صوره في الكتب والمجلات . .

لقد كنت جد شيق الى التعرف به في تلك الفترة من الزمن ، ولكن كم كنت أراني فضولياً اذا قمت بذلك في غير الفرصـة السانحة التي تقضي بهذا التعارف ، فحملت نفسي على ارجاء ذلك الى الظروف والمناسبات . .

وفي عام ١٩٣٠ بعد تجوال أربعة أشهر في سورية وفلسطين ، عدت الى القاهرة للمرة الثانية غب عطلة الصيف . فوجدت الكثير من شباب العرب في معاهد مصر يزمعون انشاء جمعية باسم (جمعية الوحدة العربية) تلك التي طالما كنا نتغنى بذكرها ، ونؤكد وجوب تأسيسها في السنة المتصرمة لضم شمل أبناء الضاد وعقـد تعارف وثيق بينهم على ضـفاف النيل السعيد ، وسرعان مانضجت تلك الفكرة ، فآتت أكلها عن قريب ، ولقد وجدت من (شوقي) رحمه الله خير نصير لهـا ، حريص عليها ، مبشر بها ، فاوفدت الجمعيـة ممثلين لمختلف أقطار العرب كنت أحدهم لتقديم الشكر اليه باسمها ، وتهنئته بابلاله من علته ، فما كان أعظم ابتهاجه بنا ، لقد كان يحثنا على مواصلة مانحن فيه ، ويضرب لنا الأمثال في ذلك بصوته الضعيف المتقطع يخرجـه بتكلف وعناء ، مدعماً اياه باشارات مختلفة من يديه يستعين بها على اظهار مايريد ، لقد كان أسامي في تلك الساعة عظيما كلما نظرت الى الشاعر وما يقاسيه ، التياعاً مما سيصيب دولة الشـعر في المستقبل ، واشفاقاً على شوقي مما هو فيه من داء كامن بالغ ، واعياء شامل وشحوب باد . . .

لقد كان ذلك الاجتماع أول اجتماع عقد صلة للمعرفة بيني وبينه ، وكنت كلما زدت تعرفاً به ، ازددت اعجاباً بعبقريته الفياضة ، وزدت شوقاً الى مجلسـه الجامع لاقانين الادب ، وروائع الحكمة ، وطرائف الاخبار وأوابد الملح والفاكهات ، ولا غرو في ذلك فشوقي يمثل عصراً بكامله ، عصراً كان فيه مالك سمعه ، وشاغل لبه ، ومثير مشاعره ، وهو خير مرآة له ، بل خير من سيصوره للأجيال الآتية حق التصوير .

وفي عام ١٩٣٢ عدت الى مصر بعد أن فارقتها ماياهز سبعة أشهر ، وكنت اذ ذاك في ضيق من دروس متراكمة ، اتدارك ما فات ، فشغلتني مشاغل المراجعة والحياة بين الكتب ، والحرص على الوقت القصير من زيارة شوقي وتجديد عهد الاجتماع به . .

وأقبلت طلائع الصيف لهذا العام ، وانتهت أعوام المدرسة اللذيذة ، أو قل الحياة في مصر ، ودنا أوان العودة الى الوطن العزيز ، والتزود من النيل بذكريات على جنباته لا تنسى ، وصور باقية لا تمحى ، فقـد أوشكت أن تكون تلك الحيـاة المغمورة بمختلف الخواطر ، المحفوفة بشتى الالوان ، ذكراً ماضياً ، أوخيالاً سارياً ألم بنائم ، وأطاف بحالم .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسـمر بمكة سامر

أي والله : لقد أوشكت أن تكون تلك العهود اذ ذاك ، ذكريات دفينة يضيفها الزمن الى خزانته ، تتجدد في نفوسنا كلما

جد عهد ، وهاج بعد ، وحالت حال ، ولاح خيال ، وهاهي اليوم قد أصبحت كذلك ، مطمورة في الصدر ، رهينة في الفكر ، تبتعثها لواعج الهم ، وتشب جذوتها كوامن الألم .

قلت لقد دنا الفراق ، فبعد أيام معدودات امتطي القطار الزفوف ، وبعده السيارة الرتيدة ، الى حيث ملاعب الصبا ، ومجامع الألفة والهوى ، والتئام الشمل ، ولقيا الاهل ، فكان من الواجب بعد هذا وأنا أودع مصر عن قريب أن ألقي « شوقي » ، وأن أودعه ، وما كنت أحسب أن ذلك الوداع سيكون الاخير ، وان ذلك الاجتماع ليس بعده اجتماع ، فكنت قد عقدت النية على الذهاب اليه . والتزود من حديثه العذب ، وبينا أنا كذلك اذ جاءني صديق عراقي يخبرني بدعوة (شوقي) لي معه في داره (كرمة ابن هانئ) ضمن نخبة امجاد من غطارفة مصر ، وأهلة هذا العصر ، فما منهم الا من استفاض ذكره ، وعلا في الفضل كعبه ، ونما في المجد حظه . .

ذهبت أنا ورفيق في الموعد المنتظر الى (كرمة ابن هانئ) ظهراً ، وكنت قد زرتها قبل هذه المرة ، جنة أنيقة زاهية ، نسقت فيها مغارس الزهر ، وخمائل النبت واصص الورد تنسيقاً يبعث البهجة في النفس ، يقوم وسطها قصر جميل يطل على النيل ، ويقابل المقطم مدلاً عليه بما أوتيه من جمال وجلال ، وروعة اخاذة بالالباب ، مستفزة للمشاعر ، ذلك لانه مقام الشاعر ومبيت جسمه ، ومهبط وحيه وخياله ، ومرتع شاعريته وتأمله ، ومجتمع أمانيه وآماله ، فله ذلك مادام كذلك . .

دخلنا القصر فاستقبلنا سكرتير الشاعر ، فجلسنا في الشرفة الامامية منه ننتظر قدوم شوقي ، ونتأمل محاسن الطبيعة أمامنا ، هذه مدينة القاهرة تجاه أبصارنا ، كم من خواطر تاريخية تمر على البال في تلك الساعة ، ان الانسان بهذا ليستعرض تاريخ مصر وما توالى عليها من حوادث وفتن واقلابات وأحوال ، تتزاحم كلها في ذاكرة النا اذا نظر ما أمعن في نظره ، ورجع الى الماضي البعيد ، أجل ! تستثير كل تلك الذكريات مبان عالية مختلفة ، ومنائر ضاربة في الفضاء ، وقباب منتثرة هنا وهناك مختلفة في الاعمار ، تنطق بالعبر ، وتشهد على أن الزمان دول . وكان على جانبي السلم الرخامي تمثالان قاعمان يحمل كل منهما شبه مصباح في يديه . فسألني صاحبي عن تعليل لطيف لذلك ، فقلت ان هذا أصدق تخيل يطابق (ديوجيني) وقد حمل سراجاً يدور به في شوارع (اثينا) ليفتش عن الرجل في الليل والنهار ، وفي الاخير بعد تجوال طويل عثر على امرأة خبرها فوجد فيها المثل الأعلى للانسان الذي يبتغيه فقال (لقد بحثت عن الرجل بكل مكان فلم أجده ، ولكني وجدت المرأة) وما أشبه هذا التمثال الصامت الناطق القائم في مدخل الدار حاملاً بيده مصباح الحكمة والهداية بديوجيني ، وكأنه هنا وقف للغادين والرائحين يقول (ها قد وجدت ضالتي المنشودة بعد عصور طويلة ، لقد وجدت الرجل ، لقد عرفت الرجل ، هيا ادخل تر الرجل) .

وأقبل الينا شوقي بعد فترة عاجلة من الزمن متهللا ، فتقدمنا اليه مسلمين ، فرحب بمقدمنا غاية الترحيب . وانتبذنا جانباً من شرفة القصر ريثما يتم اجتماع الآخرين ، وكان الشاعر في هذه المرة التي لقيته فيها خيراً منه في النشاط ودلائل القوة في كل مرة رأيته قبلها ، فقد هادنته العلل في ذلك الحين ، وناهض المرض وصاوله حتى تغلب عليه اذ ذاك ، ولكن من كان يدري أن « شوقي » سيخر صريعاً في الميدان بعد أشهر قليلة من ذلك الانتصار . وان تلك العلل انما كمنت لتتجمع للوثوب ، واختفت متراجعة لتظهر على حين غفلة ، وهادنت خداعاً ، والحرب خدعة ، من كان يدري ذلك ومن المصدق بهذا المنقلب العاجل ؟ . . لقد كان شوقي في تلك الساعة قرير النفس ، رخي البال ، طافح البشر ، وكان صورة من الطبيعة الباسمة في ذلك اليوم ، وهكذا يكون الشاعر هو والطبيعة صنوان لا يفترقان . . تنظر اليه فتقرأ في جبينه المتغضن خطرات السنين المتعاقبة ، واصداء الزمن الماضي بما فيه من حوادث وشئون ، كان لسانها الناطق وحافظها للأجيال المقبلة من الاندثار ، فاذا أمعنت في سطور ذلك المحيا داخلت نفسك هزة وانتفاضة هي هزة الاجلال والمهابة ، حيث ترى ذلك العقل الجبار من وراء ذلك المحيا ، وذلك الذهن المتقد يشع نوراً وحكمة ، وذلك الخيال المطلق أعني به خيال الشاعر أو روح الطبيعة الثاني ، ذلك الذي يهيم في كل واد ، ويسبح في كل لجة ، فيحلق مع الطيور في سمائها ليساجلها أنغامها ، ويعانق الطبيعة في خمائلها ويتغنى بجمالها ، وقد تراه فتبصر فيه خفة السرور وتقرأ عليه نضرة

النعيم ، وقد تراه فتجده بائساً لبؤس غيره . أنيس المحزون ، وعزاء الضعيف ، يشفق على المنكوبين وتذهب نفسه حسرات عليهم

وتقرأ في عينيه الذابلتين اللتين أتعب أجفانهما السهد وتعاقب الزمن ، صفاء السريرة ، وعفة القلب ، وحدة الذكاء ، وهي خير مترجم عن قلب الشاعر ، ذلك القلب العامر بالفضيلة والخير . واذا استمعت الى حديثه العذب أسرتك طلاوته ، واجتذبتك حلاوته ، يلغ الى فؤادك قبل سمعك فلا تمل منه لغة ، ولا تسأم فيه لهجة ، وشوق اذا حدث تخير ماراق لسامعه ، ورقت حواشيه ، واتى بكل طريف قشيب ، تسهله طرافة في التعبير ، وتختمه دعابة أو عبرة في الحديث تقتضيها الحال ويستدعيها المقال ؛ وكان الحديث جامعاً وكان اقبالنا عليه بالغاً ، تناولنا شئوناً مختلفة في أحوال (العراق) والادب العربي في هذا العصر وبعض مشهوري الشعراء والكتاب ، وقضينا في هذا حيناً حتى قدم علينا الاستاذ محمد عبد الوهاب ، وكان حديث القدوم من العراق ثم اكتمل العقد ، وانتظم الجمع فنهضنا الى داخل الدار حيث مائدة الطعام . ولا تسل عما كان يدور حينذاك من مفاكهات عفة . وملح آبدة ، ونوادر طريفة ، ساقها فرسان مشهورون في مصر في هذا المضمار . مصلون به ، والفكاهة والظرف والتندر من الغرائز التي طبع عليها المصري ، وهي من خصائص دمه لا تفارقه ، والذي يزيد فيها قوة وحسن وقع في النفس أنها تعرق من اللسان عفواً وتنطلق من غير تكلف وتعمل . . ترجيها الطبيعة ، ويقذف بها الظرف اللائم ، ولسرعة البديهة وحدة الخاطر أثر لا ينكر في سوقها . .

انتهى محفل الغداء فجلسنا بعده برهة قصيرة حتى اقترب موعد سفرنا من مصر في ذلك اليوم ، فتنازعنا عاملان : عامل البقاء والاستمتاع بهذه الاحاديث الطلية ، وعامل الجلاء الى حيث ينتظرنا القطار الذاهب الى فلسطين ، وفراق مصر على مضض ، فتغلب العامل الثاني واذا نحن في قطار المساء يزفر زفرة الوداع ، واذا بنا نودع من عز علينا وداعهم . واذا بنا نستعرض صفحات وذكريات ماضية واذا بنا نفارق أرض مصر وندخل في أرض الميعاد . . .

بغداد — كمال ابراهيم

أقدم مكتبة في الشرق العربي

﴿ مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ﴾

(تأسست سنة ١٨٥٦)

بها أكبر مجموعة من المؤلفات الدينية والأدبية والعلمية

لها نشرات خاصة بالمطبوعات العصرية ، وترسل فهارسها مجاناً لمن يطلبها

العنوان :

مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

صندوق بوستة الغورية رقم ٧١ — بمصر

الادارة :

شارع التبليطة نمرة ١٢ — بجوار الأزهر الشريف — تليفون ٥١٣٢٢

أحدث المطبوعات

جمهرة خطب العرب

في عصور العربية الزاهرة

تأليف

احمد زكي صفوت

مدرس اللغة العربية بدار العلوم

الجزء الأول : يشمل خطب العصر الجاهلي والخلفاء الراشدين

الجزء الثاني : يشمل خطب العصر الأموي

الجزء الثالث : « « « العباسي وخطب الأندلسيين والمغاربة ، وخطب النكاح ، وخطب من أرتج عليهم ، ونوادر طريفة لبعض الخطباء الخ ...

اختـــلاف المزاج

وأثره فى الأفراد والأمم

وفى السياسة العامة

اذا راجعت معظم أسباب حوادث الطلاق التى تنشرها الصحف الانكليزية، وجدت أن فى مقدمتها اختلاف المزاج، وهو ما يعبرون عنه بقولهم (incopatibility of temperament) ، ولا نفهم تماماً كيف يؤدى اختلاف مزاج الزوجين الى تنغيص عيشتهما حتى يطلبا الخلاص منه بالافتراق .

نريد أن نقول : هل اذا كان الزوجان من أهل المزاج العصبي يكونان أقرب الى الاختصام مما لو كان الواحد عصبياً حامياً والآخر بلغمياً بارداً ؟

قد يخيل إليك لأول وهلة أن الأمر كذلك ، أى أن العصبي سريع الانفعال اذا لقى عصبياً مثله تطاحنا وتقاتلا حتى يغلب أحدهما الآخر . ويبقى ذلك بينهما حتى يفرق بينهما تفريقاً لا اجتماع بعده .

ولكن العكس صحيح أيضاً . أى أن العصبي — وحدته ونزقه معروفان — لا يطيق أن يرى أمامه بلغمياً بارد الطبع ، لأن الأول شعاره السرعة والثانى البطء ، فيؤدى اختلافهما هذا الى تخاصمهما بشدة لا تقل عن شدة تخاصم الأولين .

وصحيح كذلك أن العصبي حاد المزاج يطلب تنفيذ إرادته بلا تهاون ، فاذا لقى أمامه صفراوياً أو بلغمياً بطىء الانفعال والتأثر فالغالب أنهما لا يعارضانه فيتم له ما يريد بلا خلاف ولا احتكاك ولا قتال

ويظهر أن هذا الحكم الأخير هو الرائج فى السياسة ، فقد تبدلت محالفات الأمم المختلفة المزاج وتغيرت ، وبقيت محالفات الأمم المتشابهة الأمزجة . فمن القبيل الأول محالفات أوربا فى القرن الماضى كالمحالفة الثلاثية بين ألمانيا والنمسا وإيطاليا ، والمحالفة الثنائية بين فرنسا وروسيا . فقد زالت هاتان المحالفتان ولم يبق لهما أثر .

ومن القبيل الثانى تحالف بلدان ألمانيا وتحالف ولايات أميركا. وهما تحالفان يبقيان على الدهر لأن « الدم أكثف من الماء » كما يقول المثل الانكليزى . وعلى هذه النظرية يقدرون تحالف الأمتين الانجلوسكسونيتين فى مستقبل الزمان — أريد بهما أميركا وبريطانيا .

وقد وجد الانكليز والفرنسويون بالاختبار الطويل أن كل سعى فى التقريب بين الأمتين نجح حتى حين ، ثم لم يلبث ان فشل لأن مزاج الأولين الصفراوى مضاد لمزاج الأخيرين العصبي . ومن ذلك كانت سلسلة حروبهما الطويلة التى بلغت أقصاها فى عهد نابليون ، ثم انتهت حروب نابليون ولم ينته عداؤهما . وقد تمكن الملك ادورد السابع بكياسته وحسن سياسته من عقد الاتفاق الودادى بينهما ، وظهر أن هذا الوداد ازداد توثقاً بتحالف الأمتين فى الحرب العالمية وانضمام أميركا إليها بعد ما تلكأت نحو ثلاث سنوات عنها . ثم لما انتهت الحرب اذا هما حيث كانتا فى تاريخهما الطويل — أمتان دائمتا النفار اذا اصطلحتا اليوم فلتختصما غداً .

وهذا شأن الفرنسويين مع أميركا ، ولكن بعد الشقة بينهما وقلة تصادم المصالح حالا دون بروز وجوه الخلاف . وحالت « مديونية » فرنسا لأميركا دون إبداء مزاجها العصبي ، وكانت خير شكيمة لتمادى جماحها على رجاء ان حسن سلوكها وكظم مزاجها العصبي واحلال المجاملة محل المخاشنة — تؤدى كلها الى تجاوز أميركا عن مالها من الدين على فرنسا .

ولكن الأميركيين متصلبون فى عزمهم على ما يظهر تصلب شيلوك فى اقتضاء رطل اللحم من غريمه مما حمل فرنسا على التظاهر بشىء من الخلق العصبي الذى طالما أخفته المجاملة واللباقة والمجاملة . فلما احتفلوا بعيد لافايت فى الأسبوع الماضى أوعزوا الى وزير حربيتهم المارشال بتان العسكرى البيقرى أن يخطب فخطب عاتباً ، والعتاب أول درجات الخناق .

ذكر فى خطبته مقاتلة الجنود الفرنسوية تحت لواء واشنطن دفاعاً عن استقلال أميركا وما كان من الود القديم بينهما ثم نماه فقال ان الأمتين ليستا من الود الآن على ما كانتا فى قديم الزمان

ولكن هذا الغضب المتنع بقناع العتاب اللطيف والنمز الظريف ، لابد أن يكون صاحبه قد ندم عليه بعد ما وردت أنباء أميركا بأن الأميركيين لم ينسوا جميل لافايت، بل قاموا قومة رجل واحد يعقدون الاحتفالات فى جميع أرجاء فرنسا ، ويدعو مجلس

فى المحكمة الصلحية

بكفيا — لبنان

للأستاذ حسن عبد الجواد

بكفيا بلد من بلاد لبنان يعلو ٩٥٠ متراً عن سطح البحر ويبعد ٢١ كيلو متراً عن بيروت . وعلى مقربة من هذا البلد تقع ضهور الشوير التى احتفلت بلديتها فى الصيف الماضي بافتتاح شارع الأمير فاروق فيها بحضور كبار المصطافين المصريين .

وفى بكفيا محكمة صلحية « جزئية » يرأسها قاض على جانب كبير من الثقافة اسمه الأستاذ ناصر رعد .

والمحكمة الصلحية هى الجزئية . وهناك محاكم ابتدائية واستئنافية . ولديهم محكمة التمييز « النقض والابرام » .

وسراى محكمة بكفيا الصلحية بها غرفة للقاضى وقاعة للجلسة وغرفة لكتاب المحكمة « قلم كتاب » وغرفة لمأمور الأجراء « المحضر القائم بالتنفيذ » . — ومأمور الأجراء فى تلك البلاد يتقاضى فوق مرتبه نسبة معينة على المبالغ التى يحصلها لأصحاب القضايا .

وكاتب التصديقات هناك يعمل لحسابه الخاص ويسمى « كاتب عدل » وله محل خاص أسفل سراى المحكمة يدفع هو أجرته الشهرية .

انعقدت الجلسة فى الساعة التاسعة صباحاً ورأسها القاضى مرتديا الروب ؛ وجلس على اليمين كاتب الجلسة مرتديا الروب ؛ وجلس المحامون بمقدمهم الأمامى يرتدى كل منهم الروب .

ووضعت القضايا على المنصة ، أمام القاضى ، وكل قضية فى مظروف مختوم .

نادى حضرة القاضى « فتحت الجلسة علنا » وفتح مظروف القضية الأولى بين سكون شامل — فاذا ما نظر القضية فتح مظروف الثانية وقال نفس العبارة « فتحت الجلسة علنا » وهكذا فى كل قضية .

ولقد أعجبنا كثيراً كثرة التجاء المحكمة الى تعيين محكمين ، بعد اتفاق الخصوم والتوقيع على محضر الجلسة بقبول التحكيم . وكثيراً ما انتهت القضايا صلحاً أمام المحكمة ، وقد رأيناها تعرض الصلح على طرفى النزاع فى كل قضية . وهذا طبيعى لأن المحكمة صلحية . وأول ما يجب على القاضى الجزئى عرض الصلح على المتخاصمين .

وقد لاحظنا أن القاضى قد درس القضايا جيداً قبل افتتاح الجلسة اذ أخذ يناقش الخصوم فى كل صغيرة وكبيرة — وقد تأكدنا أن القائم بتبليغ القضايا « بالاعلان » قد استجوب المدعى عليه كتابة على عريضة الدعوى . وفى ذلك تسهيل كبير لمهمة القاضى ، وحصر للمرافعة فى نقطة الخلاف فقط . وفى ذلك توفير كبير للوقت .

وقد رأينا القاضى يملى الكاتب أقوال طرفى النزاع بلغة عربية فصحى ، ثم يطلب اليه قراءة ما كتب للتأكد من صحته

وكان يسأل القاضى الشاهد عن اسمه وصناعته وعمره ، وعما اذا كان متزوجاً أو أعزب — وان كان متزوجاً سأله عما اذا كان له أولاد . وقد سألنا عن السر فى هذه الأسئلة الخاصة بزواجه وبأولاده فقيل « لمراعاة ذلك عند تقدير العقوبة على شاهد الزور »

وقد كان القاضى ظريفاً حقا ، وعلى جانب كبير من الأدب ، فوق دقته وذكائه . وسمعناه يقول للشاهد عند الانصراف : « مع السلامة » .

وقد حكمت المحكمة فى القضايا الكيدية بمبلغ من النقود « تظير العطل والضرر » كذا ، وفى ذلك القضاء حقاً على القضايا الكيدية .

وفى القضايا التى تعين المحكمة فيها خبيراً ، تستدعيه وتحدد له مهمته ، والساعة واليوم الواجب تقديم التقرير فيهما

أمتهم سفير فرنسا الى احتفال عظيم فى وشنطن يكون السفير ضيف الحكومة فيه ، ورئيس الجمهورية خطيب الحفلة يخطب فيها خطبة مؤثرة ، ويذكر مآثر فرنسا فى شخص لافاييت .

ولكن ذلك لا ينفع علة ولا يشفى علة ، ما دامت أميركا تطالب برطل اللحم غير منقوص ، هذا كله يجىء مصدقاً للقول ان اختلاف الأمزجة هو بيت الداء بين الأمتين كما هو بيت الداء بين الزوجين .

والتوكيلات يطلع عليها القاضي ويُملي رقمها للكاتب ويردها لأصحابها .

ونظام الاكراه البدني متبع في تلك البلاد لتحصيل الديون المدنية المحكوم بها بعد الاستشهاد بشاهدين على أن المدين قادر على الدفع . ويشترط ألا يكون للمدين عقار حتى يُكرَه على الدفع بالطريقة المذكورة ؛ لأنه في حالة تملكه عقاراً يمكن اتخاذ اجراءات نزع الملكية بدلاً من الاكراه البدني . والمحكمة تقضي بحبس المدين ٩١ يوماً مع استمرار حق الدائن في التنفيذ مدنياً . ومن أجل هذا قلت دعاوى الاسترداد ، وقلت الدعاوى الكيدية المقصود منها عرقلة التنفيذ ، وتأجيل إيصال الحقوق الى أربابها .

والمحكمة تنعقد مراراً في الأسبوع لنظر قضايا الحقوق المدنية أو لنظر الجنح والمخالفات « محكمة جزاء » .

والمحكمة تشدد العقوبة على سائقي السيارات المقدمين بتهمة الاسراع فتقضي بالحبس لغاية ٦ شهور — والاسراع بمصر مخالفة لا يزيد الحبس فيها على أسبوع حبساً بسيطا — ولعل السبب في ذلك سوء العاقبة عند الاسراع نظراً لارتفاع الجبال وعمق الوديان .

وعند انعقاد الجلسة — جلسة الجزاء — يقف بعض رجال البوليس « الجندرمة » للمحافظة على النظام . وعسكري البوليس هناك مثقف ، ويتقاضى مرتباً حسنا ، « حوالي تسعة جنيهات مصرية » . وقد شاهدنا رجال الجندمة يعاينون أدوات السيارة للتأكد من سلامتها قبل صعود الجبل ، فاذا ماوجدوا تلفاً في أي جزء من أجزاء السيارة قدموا السائقين للمحاكمة . وكل هذا محافظة على أرواح الناس الذين تقلهم السيارات في طول البلاد وعرضها .

ولقد صادفنا عسكريٌّ برحلة يحمل شهادة التجارة المتوسطة المصرية ؛ وفي هذا الدليل على ما عليه رجال البوليس هناك من ثقافة ومعرفة .

تلك نظرة سطحية في نظام التقاضي بتلك البلاد الشقيقة ؛ وهو في مجموعه نظام طيب . وفقنا الله جميعاً لخدمة العدالة ونصرة الحق ، والأخذ بيد المظلوم !؟

حسن عبد الجواد
المحامي

٧ ـ بين المعرى ودانتى

في رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

بقلم محمود احمد الشنوى

الوطنية لدى الشاعرين

ذكرنا في العدد الماضي حديث الوطنية لدى أبي العلاء ، ورأينا حنينه للعمرة والشآم ، وحبه لوطنه الذي ألقى رذاءه على كل ما حوله حتى على نياقه التي تمنت قويقاً والصراة حيالها ؛ والتي تلت زبور الوطنية المنزّل عليها فيه أن الصبر عن الوطن غير حلال ، ونريد الآن أن نتعرف إلى وطنية لدى شاعر الطليان ، تلك التي نكاد نلمسها في كل ناحية من نواحي كوميديته . وكأني به يخلق المناسبات ، ويتعمد الاستطراد ليتحدث عن إيطاليا وآلامها وأوصابها في عهده ، وليتحدث عن خائني أوطانهم وبلادهم كذلك .

ولعلك على ذكر مما حدثتك به إبان استعراض طبقات الجحيم لديه عن الدرك التاسع الذي جعله مقراً لخائني أوطانهم ، يشاركهم في تلك الطبقة إبليس ويهوذا الأسخريوطي . . أوليس في تسويته (وهو غرس الكنيسة) بين خائني الوطن وخائن المسيح وإبليس اللعين مايجعلنا نكبر فيه وطنيته ، ونعلم أي حد بلغه في حب بلاده ؟

وسأستعرض شيئاً من نواحي الوطنية في كوميديته ، تلك التي تتلمس الوطنية الملتهبة في كل ناحية من نواحيها ، حتى لنظن أن الوطنية كانت أكبر الأسباب التي دعته أن يدبج رسالته . فكم تلمس دانتي الأسباب والمناسبات ليبكي مجد إيطاليا وحروبها الأهلية التي كانت تمزق أوصالها ، وتفرق بين أبنائها . . فها نحن أولاء نراه يسير في الطبقة الثالثة من السعير ، فلا تكاد تقع عينه على أحد مواطنيه (تشاكو) حتى يميل نحوه ويحدثه عن الوطن وعما أحاط به من ويلات ومصائب . وتشاكو بدوره ينسى الجحيم والعذاب ، وينساق مع دانتي في حديثه ، فيذكر له النزاع والفشل بين أحزاب فلورنسا .

وبينما هو يجوس خلال الطبقة السادسة من السعير ، وبعد أن خلص من مدينة (ديتي) وشياطينها اذا هو أمام مواطن آخر

اسمه (فارياتا Farinata) ، فيكرر على سمعه الحديث عن فلورنسا وأحزابها وحروبها حديثاً يخفق له قلبه ، ويضطرب له جنانه .

وفى (المطهر) بين النار والجنة يذكر أوجو كابيتو ونعيه على كارلو دى ڤالو الذى دخل فلورنسا وشرد أبناءها وأهلها .. ثم يرى فى فراديس الجنان أمبراطور الدولة الرومانية الشرقية (جوستنيان Justiniano) ، فيوازن الامبراطور بين قديم روما وحاضرها ، وبين وفاقها فى عهدها الأول وانحلال عراها ، وتنازع أهلها وفشلهم فى عصرها الحديث ، ناعياً على معاصرى دانتى تفكيرهم فى مصالح أشخاصهم ، وتركهم الوطن تعصف به رياح القلاقل والاضطرابات . وكذلك يرى جده كاتشاجويدا ينعم فى الطبقة الخامسة من طبقات الفردوس ، فيحدثه هو الآخر عن الأحزاب والخصومات ، والحروب والويلات ، موازناً أيضاً بين عهده الملىء بالمحبة والسلام ، وعصر دانتى المترع بالنزاع والخصام . .

ذلك شىء من حواره الوطنى الذى كان يهتبل الفرص فيذكره فى ثنايا رسالته ، وفى تضاعيف خياله .

فأما العذاب الذى تخيله ينصب من فوق رءوس هؤلاء الخائنين ، فحسبك أن تعيره سمعك إذ يحدثك عنهم وهم فى الدرك التاسع من السعير زُرق الوجوه ، مائلى الرءوس ، غارقين فى بركة من الثلج فسيحة الأرجاء ، سار على صفحتها فارتطمت قدمه بأحد الوجوه المشوهة ، فتبين صاحبه فاذا هو (بوكا Bocca) خائن الوطن ، وقاتل من كان يحمل العلم الفلورنسى غيلة ، فتفرق جندها ، وحقت على جيشها الهزيمة ، كما حقت على خائنى الوطن كلمة العذاب .

وحسبك أن ترهف أذنيك لحديثه عن الكونت أوجولينو Ugolino الذى ألقت اليه مدينة بيزا مقاليدها ، وخضعت لسلطانه ، فأسلمها وأسلم قلاعها وحصونها لأعداء البلاد . بيد أن قومه ظفروا به فاستنزلوا فى أمره المطران روجيرو Roggero فاشتط المطران فى فتواه ، وأسرف فى حكمه ، وما كان جوابه إلا أن قال : ألقوه مع أطفاله وأبناء أخيه الصغار فى غيابة برج من الأبراج حتى يموتوا صبراً جوعاً وعطشاً . فحبسوه وذريته الأبرياء الضعفاء فى برج ألقوا بمفتاحه فى النهر حتى ماتوا جميعاً ؛ فكان عاقبتهما : الكونت والمطران ، أنهما فى النار خالدين فيها ، ينهش كل منهما رأس صاحبه

ثم اختتم دانتى جحيمه بالحديث عن بروتس Brutos وعن كاسيوس Cassios قاتلى يوليوس قيصر خيانة وغدراً ، ولم يرعيا عطفه عليهما ، ولا إحسانه العظيم لبلاده . وهنا أطلق لخياله العنان وافتن فى وصف العذاب لهذا الثالوث غير المقدس بروتس وكاسيوس ويهوذا ، فتخيل وحشاً ذا ثلاثة وجوه متعددة الألوان ، تبرز تحت تلك الوجوه أجنحة تفرع أشرعة السفائن طولاً وعرضاً ، وهى تهتز فترسل ريحاً باردة على الجحيم وعلى من فيها . وريحاً هى السبب فيما يلقونه من الزمهرير . لذلك الوحش ست عيون وثلاثة أفواه ، يسحق أحدها بروتس ، والآخر كاسيوس ، وثالثها يهوذا ، وهى دائبة على تمزيق أجسامهم ؛ وكلما تقطعت أشلاؤهم عادت سيرتها الأولى ، وعاد لها تمزيق أوصالها وسحقها . . .

وكم كان طريفاً حقاً إذ تكلم فى المطهر عن امرأة تدعى ساپيا Sapia ، وهى تتطهر من ذنوبها وآثامها ؛ وما ذنبها إلا أنها فرحت واستبشرت إذ رأت قومها منهزمين ، ولولا أن القدر أسعفها فأدركها المتاب قبل أن توارى فى التراب ، لكانت حصب جهنم وطعاماً للسعير .

يتبع

محمود احمد الشرقاوى

فرصة لتحسين مركزك

دروس بالبريد بواسطة أساتذة اختصاصيين على أحدث الطرق المتبعة فى المدارس والجامعات الغربية . للحصول على الشهادة الابتدائية أو الكفاءة أو البكالوريا . دراسة اللغات الأجنبية . التخصص فى الصحافة والشعر والزجل وفن الروايات . الرسم والكاريكاتور . القانون . الثقافة العامة . التجارة ومسك الدفاتر . الزراعة وفلاحة البساتين . الهندسة الميكانيكية والكهربائية وهندسة البناء . والهندسة الصحية . والمساحة . والطرق والكبارى . السكك الحديدية . البلديات . والمقاولات . التنظيم . الماجم . الراديو . التليفون . التلغراف النجارة . الحدادة . السيارات الخ . . .

كتاب طريقة النجاح . فى ٨٠ صفحة يرسل بدون أى مقابل . فقط ١٠ مليمات طوابع بوسته . قيمة مجاوبة فى الخارج . أكتب باسم محمد فائق الجوهرى مدير مدارس المراسلات المصرية ١١ شارع سنجر السرورى أمام سينما مصر شارع فاروق . القاهرة تليفون ٥٠٣٥٩

٢ ـ أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

سلطان باشا

هو محمد باشا بن سلطان بن احمد ، من قرية بالصعيد تسمى زاوية الأموات ، بالجانب الشرقي من النيل ، تجاه منية ابن الخصيب . ولد بها سنة ١٢٤٠ أو إحدى وأربعين . ورباه أبوه فسلمه لمعلم للقرآن بالقرية علمه القراءة والكتابة ، وحفظه ما تيسر من القرآن الشريف . ولما بلغ أشده تركه أبوه ينظر في أمور القرية المذكورة ، الى أن نقل حسن باشا الشريعي من نظارة قسم قلوصنا ، في ولاية محمد سعيد باشا على مصر ، فسأله الوالي عمن يقيمه بدله على القسم المذكور فذكر له المترجم ، وأثنى عليه ، وضمن كفايته ، فأقيم ناظراً لهذا القسم مدة ثلاث سنوات . ثم جعله سعيد باشا وكيلاً لمديرية بني سويف ، وبعد سنتين جعله مديراً لها ، فبقي فيها الى أن توفي سعيد باشا ، وتولى ابن أخيه اسماعيل باشا ، فنقل المترجم مديراً للغربية فمكث بها نحو سنة ، ثم أمر بنقله مديراً لأسيوط فأقام بها نحو سنتين ، ثم جعله وكيلا لادارة تفتيش الوجه القبلي ثم أحال عليه النظر في ضياعه التي بالصعيد المسماة بالجفالك ، ثم جعله مفتشاً على مديريات الوجه القبلي ، وانحرف عنه في أثناء ذلك عكوش باشا ، وشاهين باشا ، وعظمت الوحشة بينه وبينهما فوجد حاسدوه فرصة للايقاع به ، نظراً لمكانة الرجلين عند الخديو فسعوا به عنده ، ووشوا له بأمور عنه كان يكرهها .

صداقته لتوفيق باشا

فغضب عليه وأمر بسفره الى السودان رئيساً لمجلس الخرطوم وهو في الحقيقة نفي على جاري عادة ولاة مصر ، اذا غضبوا على أحد نفوه الى السودان في صورة تنصيبه بأحد المناصب . فصدع المترجم بالأمر وسافر ، ولكنه لما وصل بني سويف وصله أمر الخديو بالرجوع بسبب تداخل ولي العهد محمد توفيق باشا وسعيه بالشفاعة له لدى والده لأنه كان يحبه . فرجع من الطريق وقصد قريته زاوية الأموات فمكث بها عدة شهور ، ثم أذن له بالاقامة في القاهرة فأقام بها في داره المعروفة بجهة الاسماعيلية مدة الى أن جعله الخديو اسماعيل باشا مديراً للفيوم ، ولكنه عاد فألغى هذا الأمر قبل سفره . وبعد نحو سنة رجع بأمر الخديو المذكور الى بعض المناصب التي كان بها بالوجه القبلي . وخُلع الخديو وتولى بعده ولده محمد توفيق باشا ، وقامت الثورة العرابية وطالب العرابيون الخديو باعادة مجلس النواب ، وكان أهل شأنه بعد توليته فأجابهم لذلك وألف مجلس النواب ، فجعل المترجم رئيساً له لما يعلمه من إخلاصه ومحبته له ؛ ثم وقعت بينه وبين العرابيين وأمراء الجند منازعات وخلاف في بعض الأمور ظهر لهم منها ميله للخديو فأبغضوه ونووا له السوء .

عرابي يهدده بالقتل

وقام عليه مرة عرابي وبعض الضباط في داره ، فهددوه بالقتل ، وجردوا سيوفهم في وجهه ، وكاد يقع في أيديهم ، لولا انهم تراجعوا عنه من تلقاء أنفسهم ، واشتد قلقه بعد هذه الحادثة ورأى حياته معهم على خطر ، فاحتاط لنفسه ، وصار اذا جلس بداره وضع بجانبه مسدساً محشواً ليدافع به عن نفسه اذا فوجئ ، ولم يغن تهديدهم له شيئاً ، ولم يجد في تحويله عن الخديو ، بل استمر على اخلاصه ، والقيام بمساعدته ، والأخذ بناصره . ثم اشتدت الفتنة ، وسافر الخديو الى الاسكندرية ، فصحبه المترجم ملازماً خدمته ، واستدعاه هناك درويش باشا مندوب السلطان في شعبان سنة ١٢٩٩ ، وأنبأه بانعام السلطان عليه برتبة روملي بيكلربكي ، وأعطاه تقليدها بيده .

مع الانجليز

ثم قامت الحرب على ساق ، بين الانكليز والعرابيين ، فندبه الخديو لمساعدة الانكليز ، وارشادهم الى الطرق ، فبذل ما في وسعه وكاتب بعض مشايخ العرب والعمد ، ومن لهم شأن ، يمنيهم بالخلع والرتب والأوسمة ، على أن يبذلوا الطاعة للخديو والانكليز وينبذوا طاعة العرابيين ، فنجح في مسعاه ، ووافقه الكثيرون ، فانضموا للخديو وشيعته سراً ، ووقع الفشل في زمرة العرابيين ،

وانهزمت جموعهم ، واستولى الانكليز على مصر ودخلوا القاهرة يوم الخميس مستهل ذى القعدة سنة ١٢٩٩ ، فأرسله الخديو اليها نائباً عنه ، وأطلق يده فى التصرف فى الأعمال ، فوصلها فى ٢ ذى القعدة ليلاً من طريق بور سعيد ، واستبد بالأمور أربعة أيام حتى حضر النظار اليها ، وباشروا أعمالهم . وقد تاه المترجم وتجبر فى هذه الأيام الأربعة ، وأمر بالقبض على كثيرين ممن كان له بغية فى القبض عليهم وإذلالهم ، ومنهم حسين باشا الشريعى ، فانه أوغر صدر الخديو عليه ، وأشار بسجنه ، ونسى له سابق فضله عليه ، وذلك لخلف وقع بينهما إبان قيام الفتنة .

بعد الثورة العرابية

ولما حضر الخديو من الاسكندرية عقب إطفاء الثورة وذهب الناس لتهنئته بقصر الجزيرة يوم الثلاثاء ١٣ ذى القعدة المذكور أثنى أمامهم على المترجم ثناء كثيراً وقال هذا هو الرجل الذى أخلص لنا فى السر والعلانية ، وأنعم عليه بالوسام المجيدى الأول ، وأمر باحضاره فوضعه على صدره بيده أمامهم ، ثم سعى له عند النظار للانعام عليه بعشرة آلاف دينار مصرى مكافأة على خدمته ومسعاه ، فأعطيت له من ديوان المالية . وكافأه الانجليز بوسام (سان جورج ، وسان ميشيل) من الدرجة الأولى لمساعدته لجندهم إبان الحرب ، وذهب به السير مالت قنصلهم الكبير الى داره وسلمه له يوم الثلاثاء ١٧ محرم سنة ١٣٠٠ هـ ، وقال له إن من شروط هذا الوسام أن تضعه مولاتنا الملكة بيدها على صدر من تنعم عليه به ، وقد أتيت اليكم نائباً عنها فى وضعه على صدركم جزاء إخلاصكم وولائكم لجلالتها ولحضرة الخديو . ثم فى جمادى الأولى من هذه السنة أنعموا عليه أيضاً بالمدالية الانجليزية المضروبة بخصوص الحرب العرابية .

وبقى المترجم بعد ذلك فى داره بالقاهرة بلا عمل ، ملتبساً بلقب رئيس مجلس النواب ، ثم انتدب للاشراف على شواطئ النيل وجروفه بالوجه القبلى لما زاد فى الفيضان ، فصدع بالأمر على كره منه ، ورأى ذلك حطاً من مقامه ، واستقل العشرة الآلاف والوسامين على ما قام به للخديو والانكليز ، وانعكست آماله التى كانت ترمى الى تنصيبه فى منصب كبير ، وفترت نفسه ، وكثرت همومه ، وانحرف عن الانكليز ، وطفق يذمهم بعد أن كان لهجاً بمدحهم والثناء عليهم فى كل مجلس يجلسه ، واعتزل الناس فجعل اقامته بالصعيد ، ولما ذهب اللورد دوفرين الى تلك الجهة زاره المترجم فلم يلق منه ما كان يؤمله من حسن المقابلة ، وسأله فى عرض حديثه عن حضور أخوى الخديو حسين باشا وحسن باشا من أوربة ، فقال له نعم حضرا ، فقال ولم حضرا ، فأعرض عنه اللورد ولم يجبه ، ونقل حديثه مع غيره ، فقام المترجم من المجلس كاظماً غيظه ، وزاد فى ذمه فى الانكليز ، وأثرت هذه الأحوال فيه فاعتلت صحته .

رئاسة مجلس الشورى

ثم صدر الأمر العالى يوم الأربعاء ٢١ محرم سنة ١٣٠١ بجعله رئيساً لمجلس شورى القوانين الذى ألف حينذاك ، بدلاً من مجلس النواب ، حسب اشارة اللورد دوفرين فى تقريره عن مصر ، فتولى هذا المنصب وهو عليل ، ثم ازدادت علته ، فأشار عليه الأطباء بالسفر الى أوربة للمعالجة ، حيث لم تفده معالجة أطباء مصر ، فسافر الى بلاد النمسة ، ونزل بنزل فى مدينة غراتس ، فوافاه أجله هناك صباح يوم الاثنين ٢٦ شوال سنة ١٣٠١ .

وفاته

ونعى الى الخديو فى ذلك اليوم بالبرق ، نعاه له قلينى باشا فهمى فأسف عليه أسفاً شديداً وجزع ، وأمر بنقل جثته الى القطر المصرى لتدفن فيه ، وأقام له مأتماً من الخاصة الخديوية ، وناط بمحافظ القاهرة القيام به بالنيابة عنه . ووصلت جثة المترجم الى الاسكندرية يوم الاربعاء ٦ ذى القعدة من السنة المذكورة فأمر الخديو بتشييعها تشييعاً كبيراً بالاسكندرية ، فسارت فى طليعة الجنازة كتيبة من فرسان الشرطة ، ثم كتيبة من الجند الرجالة منكسى الأسلحة ، يتلوهم قرّاء الأحزاب والبردة ، ثم جميع كبار الموظفين بالاسكندرية ، فتلاميذ المدارس ، فجم غفير من الأعيان حتى أوصلوا النعش الى السكة الحديد ، فجعلوه فى قطار مخصوص سافر به من هناك الى منية ابن الخصيب ، ونقل منها الى الشاطئ الشرقى حيث دفن بمقبرة بلده . وخلف المترجم ثروة واسعة ، وولداً واحداً عمره نحو سنتين ، وثلاث بنات . وقد رثاه الشيخ على الليثى بقصيدة .

يقظة الشرق

للآنسة فلك طرزي

. . . في ليلة من الليالي الشديدة القر ، النائبة النجم ، الناعمة السواد ، الشديدة الحلوكة ، قام طيف يخترق وحشة الليل ، يسير بخطوات هادئة يتحسس طريقه على الأرض الحزون ، يضرب فيها أخماساً لأسداس ، ممسكاً بيده قيثارة قد أوتارها من نياط قلبه ، وأنامله تلاعب هذه الأوتار بعزف يكشف رويداً غشاوة ما كان راكداً في أعماق النفس ، وراسباً في قرارة القلب ، من ذكرى الماضي الحافل التي طواها الزمن ، وكان يشدو معها بالغناء بصوت رقيق حنون ، تسبح موجاته مع تموجات الأثير تهدهدها طيانه ، وينقلها الهواء من شاطئ الى شاطئ ، ومن ضفة الى ضفة ، حتى ملأ أجواء الشرق بنغماته ، وعبقت منه رائحة الأبدية وعبير الأزل . .

أخذ الصوت يقول : تعالى أي قيثارتي نرتل لحناً نعيد به المجد البالي ! تعالى نغرد أناشيد الصباح لعل الفجر يبدد الدجى ! تعالى نتغنى بألحان السحر فتتحول الأرض القاحلة الى حقول معشبة ، والسهل الأجرد الى سهول مخصبة ! تعالى يا قيثارتي نوقظ النهار من غفلته والنفوس من نومها العميق ! تعالى نرسل أنغامنا في سمع الدجى فتتحول السماء السوداء الى قبة تسطع فيها النجوم وتتلألأ فيها الكواكب .

ظل هذا الصوت يشدو ، وهذه القيثارة تجيب ، حتى تمزقت حواشي الليل ، وآذنت ساعاته بالفناء ، واذا بالفجر يبدو مشرقاً وضاحاً ، واذا بواكير الصباح تكشف عن نهار مشرق ضاح جميل ، وما لبثت السماء حتى تقشعت عنها الغيوم وتبدد عنها السحاب ، فبدت بلونها اللازوردي الجميل ، وتربعت الشمس على عرشها ، وأشرقت من أفقها ساطعة بنورها الوهاج على الجبال والأودية ، وهي مشتعلة متأججة ، وأخذت أشعتها تتغلغل في السهول وعادت الى الأرض حياتها ، والى الزهر رونقه وبهاؤه ، والى الزرع اخضراره وجماله .

فقالت الأزهار يخاطب بعضها بعضاً : انظري يا أختاه الى هذا النور المنبثق من السماء ! انظري ! ما هذا الضياء المشع ؟ أليس هو نور « اليقظة » يسطع من سماء شرقنا المحبوب ؟ وقالت الأشجار لبعضها : ألا تعلمين يا صديقتي ان أغصاننا كادت تتحول الى أعواد يابسة يعصف بها الشتاء ، لولا تلك النغمة المقدسة التي أرسلتها اليقظة من سماء مصر فأعادت لنا أنفاسنا وحياتنا ! وقال الفجر يخاطب الليل : أنت أيها الحسود كدت أن تمحي خطوطي الزاهية الى الأبد ، لولا « هذه الفتاة الحسناء » التي عادت فرممتها برغم أنفك ! فيا لك من عدو ماكر وحسود خداع !

وقالت الأطيار بعد أن عادت تغرد في الدوح : تعالوا نحلق في الفضاء ونرفرف بأجنحتنا فالجو صاف ، والنسيم عليل ، والعبير يعبق في جو الأفلاك ! وقالت الأنهار : تعالوا نرو الأرض من مائنا السلسبيل ونطفئ ظمأها من ينابيعنا العذبة ، تعالوا ! تعالوا ! ان غديرنا يبعث من خريره أناشيد ملؤها الغبطة والسرور !

عندئذ نظرت النفوس الى « يقظة الكون » وتأملت طلوع شمسها البهية ، واشراق محيا الصباح الجميل فتنفست الصعداء وارتسمت على الوجوه ابتسامة سرور وانشراح وقالت : لك الحمد يارب ! أنت الذي نظرت الينا بعين الرحمة ، فما أطلت علينا ليلك ، وما طالت علينا حلوكة الظلام الدامس ! فها نحن أولاء نستيقظ من سباتنا العميق ،

أدبه

وكان للمترجم إلمام بالأدب وقرض الشعر ، اشتهر عنه نظم النوع المسمى بالصعيد بالواو ، وأخبرني من أثق بقوله انه اطلع على قصيدة له في مدح حسن باشا الشريعي رحمهما الله .

***

وحدثني صديقنا علي رفاعة باشا ، ابن رفاعة بك الشهير قال : كانت بيني وبين المترجم وحشة ازدادت لما جعلت وكيلا للمعارف إبان الثورة العرابية ، ثم عزلت من هذا المنصب بعيد الثورة ، وقصدت السفر الى بلدتي طهطا ، فلقيته بالقطار ، فلما وقعت عينه على عيني نظر إليّ نظر الشامت ثم قال : إيه يا علي بك ، لقد أجاد الشاعر في قوله :

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان

فقلت نعم أجاد ، وأجود منه قول الآخر :

اني لأرفع عيني حين أرفعها على كثير ولكن لا أرى أحدا

ودم الحياة يتدفق منا قوياً حاراً ، وثغورنا تبتسم لابتسام ثغر الأدب من بين شفتي هذه النهضة المباركة التي أنشأتها أقلام الأدباء ، ونظمت لحنها عقول الشعراء ، وخلدت مجدها عبقرية الفنانين ، فقامت عصبة الشباب تطالب بالحرية والمساواة ، ورفع راية الشرق ، تستنكر الذل والخضوع ، وتأبى الضيم وعار الاستسلام .

ها هما حافظ وشوقي قد طواهما الخلود بعد أن غردا أناشيد الحياة المتنوعة ، وخلفا ذكراهما تتناقلها الأجيال زكية الأرج ، ضواعة العبير ، وسجلا صحيفتيهما في عالم الخلود !

هاهي ذي «مصر» كما تخيلها مختار تقف بجانب أبي الهول توقظه من نومه الأبدي وغفلته العميقة ، لينقذها من هذه الأهوال التي جعلتها تئن تحت نيرها ! هاهي ذي «الرسالة» الغراء لما تبلغ سن الفطام شبت وترعرعت ، وغدت لسان النهضة الأدبية في العالم العربي قاطبة يقوم بها أسطع الكتاب اسماً ، وأوسعهم شهرة ، وأجلهم قدراً .

فاللهم اجعل هذه النهضة مباركة ميمونة الطالع على الشرق فيتحد أبناؤه ، وتتوحد كلمتهم ، وتأتلف قلوبهم ، وتخفق بأمنية واحدة هي « الحرية » ! وقرب لنا الساعة التي تهلل وجوهنا فيها بالسعادة والغبطة ، وترسل أعيننا دموع الفرح والسرور ، فيمتلئ الجو من ندائنا ، ويرتفع علمنا المحبوب يشق أجواز الفضاء ، وتصيح من أعماق قلوبنا بصوت واحد « ليحي الشرق »

دمشق — فلك طرزي

أبو علي عامل أرتست

مجموعة قصص مصرية

تأليف

الأستاذ محمود تيمور

يطلب من مكاتب القطر الشهيرة وثمنه خمسة قروش

خلاف أجرة البريد

حقـــائق

لميشيل انجـــلو

ترجمة عامر عبد الوهاب عامر

١ — يقول بنسن في كتابه (كلمات عن كورسيكا)

لقد غرس حب الحرب في قلب نابليون منذ طفولته إذ أهدى إليه أحد أصدقائه الأحداث مدفعاً صغيراً من النحاس

٢ — بينما كانت جوزفين ذاهبة ذات يوم مع نابليون الى الأوبرا استوقفها الجنرال (راب) لحظة ليضع لها الشال على طريقة السيدات المصريات . وبهذه الحادثة التافهة نجا نابليون بحياته إذ انفجر اللغم الذي أرصد لاغتياله في تلك اللحظة وهكذا توقف مصير أوربا على تعديل وضع الشال .

٣ — إن المؤامرة التي دبرت في عهد الملك شارل الثاني والمعروفة باسم Rye- house Plot فشلت بسبب صغير . وذلك أن المنزل الذي أقام به الملك اشتعلت فيه النار فاضطر أن يرحل عن (نيوماركت) قبل الميعاد المعين بعدة ساعات وكان ذلك سبيلاً الى إفساد التدبيرات التي أعدها المتآمرون على جلالته

٤ — إن الحريق الكبير الذي شب في لندن عام ١٧٩٩ أحدثه خادم كان قد ألقى سهواً شرارة على نخشيبة كوخ . كذلك الحريق المروع الذي اندلع لهيبه في المدينة في عهد شارل الثاني يرجع الى حادثة من هذا القبيل في مخبز قريب من جسر لندن

٥ — إن طموح القائد الروماني ماريس وكل ما استتبعه من الشرور والآثام يرجع الى تلك النبوءة الخرقاء بأنه (سيصير قنصلاً سبع مرات)

٦ — هاجم الغاليون بزعامة برنوس روما عام ٣٩٠ ق . م ولكن برنوس امتنع عن اقتحام التلعة الرومانية على أثر سماعه نقنقة بعض الأوز المقدس الذي أهاجه سير المحاصرين الغاليين

٧ — إن اختراع الزجاج ينسب على العموم الى بعض التجار الفينيقيين الذين أوقدوا ناراً على ساحل البحر . ثم لاحظوا بعد انطفائها تحول الرمل الى زجاج

تاريخ الأدب

بقلم الأستاذ محمود محمد

سلكت دراسة التاريخ فى العصر الحديث مسالك شتى ، وتشعبت فى فروع كثيرة ؛ فأصبحنا نرى الى جانب تاريخ السياسة تاريخاً للفلسفة ، وتاريخاً للعلوم ، وتاريخاً للاقتصاد ، وتاريخاً للأدب . وسنحاول فى هذه الكلمة أن نبين مدى ما يمسه تاريخ الأدب من مباحث .

١ — شخصية الكاتب

يعنى تاريخ الآداب بدراسة الآثار الأدبية من نثر ونظم . ولما كنا لا نستطيع أن نفهم الكتاب فهماً صادقاً دون أن نعرف مؤلفه ، أو نحلل القصيدة تحليلاً دقيقاً من غير أن نعرف ناظمها ، فقد أصبح لزاماً علينا أن نجعل الكتّاب والشعراء أنفسهم موضوعاً للدرس عند دراسة تاريخ الأدب ، ذلك لأنه يستحيل علينا أن نفصل الأثر عن المؤثر أو نفهم النتيجة دون السبب . وإننا حين نقرأ كتاباً من الكتب تبرز لنا شخصية المؤلف الذى صب أفكاره ومشاعره فى هذا الكتاب قوية واضحة ، بحيث لا نستطيع إنكارها .

وتشمل دراسة الأشخاص نشأتهم وتجاربهم وأخلاقهم الموروثة والمكتسبة ، ونزعاتهم وتاريخ حياتهم ، وغيرذلك من مكونات الشخصية . ولكن هناك ناحية أخرى يجب أن تنال من عنايتنا أكبر نصيب عند دراسة الأديب ، تلك هى السمة الظاهرة ، والطابع الخاص الذى يميز البعض عن البعض، ويرفع كاتباً فوق الآخر . ذلك لأن العبقرية معنى واسع تشمل أطرافاً متباعدة ، ولكنها فى صميمها عبارة عن قوة الشخصية ، أو قوة الابتكار والابتداع . ويقول أحد الكتاب الانجليز : « إن كل كاتب كبير يأتى الى هذا العالم بشىء جديد كل الجدة : ذلك هو نفسه » . والكاتب المخلص لفنه يسكب نفسه ويبث روحه فى كل ما يكتب ، ومن ثم اختلفت آثار الكتاب وانطبعت بصور شتى من شخصياتهم . وواجبنا عند دراسة الأديب أن نبرز طابعه الشخصى للعيان ، ونفصله كل التفصيل ؛ فهو أهم ما يجب أن نعرف عنه ، وللأديب من الأهمية والعظمة بقدر ما لهذا الطابع من قيمة وجاذبية .

٢ — المذاهب والمدارس فى الأدب

ليست شخصية الكاتب إلا ناحية واحدة من نواح كثيرة ، يختص بدراستها تاريخ الأدب . فلو أنا دونا مصنفاً يجمع بين دفتيه تاريخ حياة الأدباء وذكر آثارهم ومخلفاتهم متنافرة لا تؤلف بين ابعاضها فكرة ، ولا تربط أجزاءها صلة ، كان تأريخنا لأدب اللغة ناقصاً قليل الفائدة ، لأن الأدب برمته يرتقى وينحط من عصر الى عصر . وعلى مؤرخ الآداب أن يدرس أسباب الرقى والانحطاط ، وتأثر الأدباء بها أو تأثيرهم فيها ، وأن يدرس صلاتهم بأسلافهم وأخلاقهم ، فان من الكتاب من يرتفع الى درجة السمو والكمال ، فيطبع عصره بطابع خاص ، ويظهر من بعده أتباع له يتأثرون آراءه وأساليبه ، معترفين بفضله حيناً ومنكرين أحيانا . والكتاب الذى يلقى رواجاً عند جمهور الناس لا يلبث أن يظهر له أشباه ، وأن يتكرر مافيه مرات ومرات : وهكذا تنشأ المدارس فى الأدب ، وتظهر الحركات التجديدية التى تحيا حيناً من الدهر ،

---

٨ — إن اختراع الطباعة — ذلك الاختراع الخطير — استلهمه جون جينسفليش فى ساعة نشوة وطرب حيث نقش الحروف الأولى من اسمه على شجرة ، ثم ساقه الخيال الحالم الى أن يضع عليها ورقة فانطبعت عليها هذه الحروف

٩ — إن جاك لافايت أحد رجالات المال والسياسة الفرنسيين ، والذى لعب دوراً خطيراً فى ثورة عام ١٨٣٠ كان فى الأصل بائساً معدماً . وقد نسب العمل الذى فتح أمامه طريق اليسار والفخار الى التقاطه دبوساً ضائعاً فى شوارع باريس .

١٠ — خطرت نظرية الجاذبية لسير اسحق نيوتن عند ما رأى تفاحة تسقط مصادفة من شجرة كان يرقد تحتها فى لحظة تفكير وتأمل .

١١ — قال قيصر « المصادفة أثر كبير فى الحرب » ولكن أثرها أكبر فى الاكتشافات العلمية والاحداث السياسية (جريدة التيمس)

١٢ — قد تؤدى حادثة صغيرة جداً الى نتائج عظيمة الشأن . وأحياناً تسبب أروع النكبات (تشيمبرز)

ثم تموت لتخلي السبيل الى ظهور مدرسة أخرى أو حركة جديدة حينما تتغير الأذواق وتتبدل المذاهب . فاذا قلنا — مثلا — مدرسة « پوپ » فى الأدب الانجليزى ، انصب قولنا على جميع الشعراء الذين تبعوه فى الأسلوب الذى أذاعه بين الناس ورفعه الى مرتبة الكمال . واذا ذكرت « الحركة الكلاسيكية » فى الشعر ، حملت الى أذهاننا عصر پوپ الذى تميز بالرجوع الى تراث الأقدمين وورود مناهجهم الأدبية . واذا قلنا الحركة الرومانتيكية فى النثر الخيالى ، قصدنا ذلك المنوال الذى أنشأه « سكُتْ » فى كتابة القصص التاريخية ، ونسج عليه أتباعه ومقلدوه . وقد ظهرت المدارس والمذاهب كذلك فى الأدب العربى ، فكان فى العصر العباسى مدرسة وعلى رأسها الأصمعى ، لاتحب إلا الشعر الجاهلى ، ولا تحب من المحدثين إلا من قلد القدماء . وقد أدخل المتنبى والمعرى الفلسفة فى الشعر ، فأصبحت مذهباً من المذاهب له أشياعه وأنصاره .

هذه المدارس والحركات تلعب دوراً هاما فى تطور الأدب ، ولها من الأهمية فى دراسة تاريخ الآداب ما لا يقل شأناً عن دراسة شخصيات الكتاب أنفسهم . فان الأديب مهما كان مجدداً مبتكراً فهو مايزال الى حد كبير وليداً لبعض الكتاب السابقين ، يستلهمهم الرأى ويستوحيهم الأسلوب . وقد ذكرنا مثلا أن « پوپ » مجدد فى الشعر الانجليزى ، له أسلوب خاص ومدرسة خاصة ، ولكنا اذا أمعنا فى البحث عرفنا أن هذا الأسلوب لم يكن من خلقه وإنشائه ، وإنما بلغ الذروة من الكمال على يديه بعد ما سار شوطاً بعيداً فى التقدم والترقى ، ووصل الى درجة تكاد تدانيه دقة وروعة فى كتابات الشاعر درپدن . وقد تعلم سكُتْ فى مدرسة رومانتيكية قبل أن يصبح زعيما لهذه الحركة ، وظهرت الفلسفة فى الشعر العربى قبل المتنبى والمعرى . وكثيراً ما ينعت شكسپير بأنه يتفرد فى عصره بالسمو والكمال الأدبى ، وأنه ابتكر الدرام لم يتبع فى ذلك أحداً ولم يتأثر أحداً ، ولكنه فى الواقع لم يكن إلا متمماً لمجهودات السابقين من الكتاب أمثال نكولاس يودال ، وتوماس فورتن ، وغيرهما ممن لا يرد ذكرهم فى تاريخ الأدب إلا لماما .

وتاريخ الأدب يوضح لنا هذه الصلات ويربط كاتباً بآخر ، وجماعة بجماعة ، ومدرسة بمدرسة ، كما يدرس أسباب التطورات المختلفة فى عصور الأدب ، وتأثير خول الكتاب فى الجمود بالأدب والسير به فى مناهجه القديمة أو النهوض به وتوجيهه وجهات جديدة . وقد عرفنا أن روح الأدب تتغير من عصر الى عصر ، وكثيراً ما يتحكم الذوق العام عند جمهور الشعب فى هذا التغير ، فيخرج الأدب على غراره وينطبع بطابعه . وكما أن لكل جيل أسلوبه فى النثر ، فكذلك لكل جيل ذوقه الخاص . هذا الذوق سريع التقلب والتغير ، فان عصر فكتوريا فى الادب الانجليزى (١٨٣٢ — ١٨٨٧) على قرب عهده وشدة صلته بالعصر الحديث يختلف فى أدبه عن الادب الحديث ، كما يختلف فى زيه عن الازياء الحديثة . والفرق واضح بين لغة الادباء فى مصر الآن ، وبين لغتهم منذ عشرين عاما فقط ، ذلك لأن القراء قد تبدلت أذواقهم وتغيرت طرائق معيشتهم .

وتاريخ الادب يبحث قبل كل شىء عن أسباب هذا التطور فى الاساليب والاذواق ، وقد عرفنا أن شخصية الكاتب عامل عظيم الأثر فى هذه الانقلابات ، لان الكاتب الفذ يخلق ذوقاً جديداً وينشىء عصراً جديداً ومرحلة جديدة فى الادب ، ولكنا يجب ألا نغالى فى تقدير شخصية الكاتب حتى نجعلها تبتلع العوامل الأخرى وتستغرقها جميعا ، فقد ذكرنا أن النابغة يصاغ فى قالب من الثقافة والمثل العليا والاتجاهات العقلية والخلقية التى يولد فيها ، مما يكون له أكبر الأثر فيما يكتب ويخرج لهذا العالم . وكما يؤثر الأديب الفحل فى عصره فهو كذلك يتأثر به ، ويتوقف نجاحه الى حد كبير على خضوعه لأذواق الجماهير ومجاراته لأهوائهم ، وعلى ذلك فالكاتب ابن عصره ، ولا بد لنا عند دراسته من معرفة العوامل التى كيفت آراءه وحددت ذوقه الأدبى ، وجعلته طابعاً خاصاً فى أدبه — وقد تكون هذه العوامل أدبية ترجع الى الكتب والمدارس كما يتميز عصر اليزابث — مثلا — فى الأدب الانجليزى باندفاعه وراء الآداب اللاتينية والاغريقية التى بعثتها النهضة الأوربية ، فتأثر الكتاب فى ذلك العصر بسحر الأدب الايطالى ، وكما انبعثت آداب العصور الوسطى وفنونها منذ سنة ١٧٥٠ ، وتمثلت فى كولردج وسكت . فالواقع الذى لا مراء فيه أن المؤثرات الأدبية تأتى بأذواق جديدة تجرف أمامها أشد الكتاب استقلالاً فى الرأى .

ولكن الأدب يتأثر بعدة عوامل أخرى غير العامل الأدبى ، عوامل لا تمت الى الكتب والمدارس بصلة ، ولكنها تتصل

بالحياة العامة والسياسة والاجتماع بسبب ، فكل ما يبعث اتجاهاً جديداً في الرأى أو في منحى الحياة أو في مجرى السياسة والشعور العام يؤثر في تكوين الآداب الى حد كبير . ويجب علينا عند دراسة أى أثر من الآثار الأدبية ألا ننسى ظروف الزمان والمكان التي أحاطت بالكاتب عند تحرير كتابه .

٣ — صلة التاريخ بالأدب

لكل جنس من الأجناس البشرية ولكل عصر من عصور التاريخ مميزات خاصة ، ومهما تكن شخصية الأديب بالغة من القوة ، فان روح جنسه وعصره لا بد ظاهرة فيه ، وعلى ذلك فتاريخ الأدب يتأثر بمؤثرات وطنية كما يتأثر بمؤثرات شخصية . ويكفي أن نذكر الاصلاح الديني والثورة الفرنسية وظهور الاسلام وتقدم العلوم في القرن التاسع عشر ، وغير ذلك من الحوادث العظمى في التاريخ لنتبين العلاقة المتينة بين تاريخ الأدب والتاريخ العام .

ولا يقتصر تاريخ الأدب على دراسة المخلفات الأدبية لمختلف الكتاب ، كل كاتب على حدة ، وإنما هو يشمل كذلك دراسة أدب الأمة جملة واحدة ، وإظهار مميزاته العامة باعتباره انتاجاً لعقلية هذه الأمة ككتلة واحدة لها تفكير خاص وشعور خاص ، فللأدب العربي — مثلاً — مميزاته العامة ، وللأدب الانجليزي مميزاته العامة كذلك ، وتختلف هذه عن تلك بمقدار ما يختلف الشعبان في الجنس والسلالة .

كل ما له أثر في تكوين الأمة له أثر في نسج أدبها ، فان أدب الأمة هو تاريخها الذي دونته بقلمها يصور لنا أخبار رقيها العقلي والخلقي . واذا تتبعنا تاريخ الأدب في كل ما طرأ عليه من تقلبات ، فنحن على اتصال مباشر بالأسباب الحقيقية ، والحركات الدافعة لحياة الأمة في العصور المختلفة ، ونحن مستطيعون أن نفهم نظر أهل تلك العصور الى الحياة وألوان مسراتها وأنواع ملاهيها وفلسفتهم في الوجود ومختلف العواطف والأحاسيس التي كانت تجول بنفوسهم ، ومثلهم العليا في الأخلاق والذوق ، وأى صفات البطولة كان لها سلطان قوى على النفوس ، وكان لها نصيب كبير من الاعجاب ، فالأدب كما يقولون مرآة تنعكس عليها روح الشعب وحياته .

٤ — عصور الأدب

وقد اعتاد مؤرخو الآداب أن يقسموا الأدب الى عصور مختلفة ، ولم يلجأوا الى ذلك لسهولة الدرس فحسب ، ومن قبيل تقسيم الموضوع المتشعب الى أبواب وفصول ، ولكن هناك ما يبرر هذا التقسيم ، فالعصر التاريخي عبارة عن فترة زمنية يسود فيها نوع من الذوق العام ، وعلى ذلك فان أدب ذلك العصر يتسم بصفات خاصة من حيث المادة والفكرة والأسلوب . وقد تختلف آثار الكتاب البارزين بقدر ما تختلف شخصياتهم ، ولكن تلك الصفات العامة تظهر فيهم أجمعين ، ولا ينتهي عصر ويخلفه آخر ، إلا بعد تغيير حاسم في الذوق العام .

ولكننا يجب أن لا نضع الحواجز المتينة بين عصر وعصر ، فليس تاريخ الانسان أبواباً وفصولاً ، ولكنه تيار واحد متدفق يتعرج حيناً ذات اليمين وحيناً ذات اليسار ، ليس له بداية معينة ولا نهاية محدودة ، والعصور التاريخية في الواقع آخذ بعضها بتلابيب بعض ، وقد يبدأ الرجل عمله في عصر من العصور ولا ينتهي منه الا في عصر آخر ، كالمخضرمين بين الجاهلية والاسلام ، وكبشار وابن المقفع بين العصر الاموى والعصر العباسي . وقد عاش دريدن وملتون في زمن واحد ، ولم يعمر أولهما بعد الآخر الا سنوات قلائل ، ومع ذلك فقد اعتاد مؤرخو الأدب الانجليزي أن يضعوهما على رأس عصرين متتابعين يعرفان بعصر « دريدن » و عصر « ملتون » . ومع ذلك فان لتقسيم الأدب الى عصور أهميته الدراسية لأنه يوجه أنظارنا الى المراحل التي اجتازها الأدب وتميز في كل مرحلة منها بميزة خاصة ، وهو أهم ما يعني به مؤرخ الآداب .

وللمؤرخ أن يطلق على هذه العصور أسماء يشتقها من التاريخ ورجاله كعصر التراث ، وعصر فكتوريا ، وعصر المأمون . ولكن الأجدر بنا أن نسمى تلك العصور بأسماء مشتقة من الأدب نفسه ونطلق عليها أسماء مشاهير الكتاب الذين يمثلونها فنقول عصر شكسبير وعصر ملتون وعصر المتنبي . وعصر الجاحظ . . الخ ليسهل على الطالب أن يدرك بنظرة سريعة الصفات التي يتميز جيل عن جيل ؟

محمود محمود محمد

من طرائف الشعر

الوادي

لصوت الطبيعة الصارخ ألفونس دي لامارتين

للشاعر الدمشقي أنور العطار

« إلى التي علمتني الحب وعلمتني الألم ، وجعلت من حياتي مشابه لحياة هذا الشاعر، في خيبة الحب ، وحرقة القلب ، ومشجي النغم ، ومذيب الألم ! »

إيهِ وَادي الصَّباءِ والأَحْلامِ ... إيهِ مَهْوَى الإيحاءِ والإلهامِ
هَبْ لِضَعْفِي مَلاذَ يَوْمٍ قصيرٍ ... أَتَرَقَّبْ فيهِ دُنُوَّ حِمامي
لم يَعُدْ قَلْبيَ السَّئُومُ المُعَنَّى ... يَرْتَجي مِنْ عَمايةِ الأَيَّامِ
أَنْ تُعيدَ المُنَى إليهِ عِذاباً ... مُغْرِياتٍ بِنَغْرِها البَسَّامِ

***

هُوَ ذا المسلكُ الذي ضاقَ ذَرْعاً ... في ثَنايَا الوَادِي المُضِبِّ النَّوَاحي
تَتَدَلَّى الغَابَاتُ حَوْلَ حِفَافَيْـ ... ـهِ وَتَبْدُو مُلْتَفَّةَ الأَدْوَاحِ
بَاعِثَاتٍ إِلَى جَبِينِيَ فَيْئاً ... مِنْ غُصُونٍ تَمِيدُ بِالأَفْرَاحِ
غَامِرَاتٍ سَاحَ الفُؤَادِ سَلَاماً ... مُغْصِيَاتٍ عَنِّي شَجَا الأَتْرَاحِ

***

هَاهُمَا جَدْوَلَانِ في قَاعِ البُعْـ ... ـدِ اسْتَسَرَّا فِي مَسْرَبِ الأَعْشَابِ
رَسَمَا فِي المَسِيرِ مُنْعَطَفَ الهَضْـ ... ـبِ وَمَسْرَى الرُّبَا وَمَنْحَنَى السِّعَابِ
مَزَجَا فِي هُنَيْهَةٍ نَاغِمَ المَا ... ءِ بِمَزْجٍ كَالهَادِرِ الصَّخَّابِ
ثُمَّ غَابَا عَنِ العُيُونِ وَضَاعَا ... فِي قَصِيٍّ لِلدَّوْحِ وَخَافِي الرِّحَابِ

***

وَلَكَالجَدْوَلَيْنِ فِي النَّهْدِ فَاضَ ... تَبْعِي وَلَجَّ فِي التَّسْيَارِ
ثُمَّ وَلَّى وَلَيْسَ صَوْتٌ وَلا اسْمٌ ... أَوْ مَعَادٌ إِلَى حِمَى التَّذْكَارِ
فيهما المَاءُ قَدْ تَرَامَى نَقِيًّا ... مُشْرِقَ السَّكْبِ مِثْلَ شَمْسِ النَّهَارِ
غيرَ أَنِّي ، وَالهَفَ نَفْسِي ، كَئِيبٌ ... وَمِيَاهِي مُرْبِدَةُ الأَنْوَارِ

***

فِي ضِفَافٍ مِنَ الجَدَاوِلِ غَرْقَى ... فِي دُمُوعِ النَّدَى وَسَجْوِ الظِّلَالِ
كُنْتُ أَقْضِي سَحَابَةَ اليَوْمِ مَعْلُو ... لاً بِقَيْدٍ مِنَ الطَّبِيعَةِ غَالِ
وَعَلَى هَادِرِ المِيَاهِ تَغُطُّ النَّـ ... ـفْسُ فِي حُلْمِهَا البَعِيدِ المَجَالِ
مِثْلَ طِفْلٍ أَغْفَى عَلَى نَغَمِ حُلْـ ... ـوٍ نَمِيسٍ فِي زَاهِرِ الآمَالِ

***

آهِ ! هَلْ لِي إِلَى هُنَاكَ مَعَادٌ ... حَيْثُ أَفْنَى فِي زَاخِرِ الأَمْوَاجِ
إِنَّ عَيْنِي تَهْفُو إِلَى ذَلِكَ الأُفْـ ... ـقِ وَنَهْوَى تَزَاحُمَ الأَحْرَاجِ
لَيْتَنِي فِي حِمَى الطَّبِيعَةِ أَبْقَى ... سَادِراً فِي بِقَاعِهَا وَالفِجَاجِ
ثُمَّ أَرْنُو إِلَى السَّمَوَاتِ مِفْرَا ... حاً أُصَلِّي فِي ذَهْلَتِي وَأُنَاجِي

***

كَمْ تَعَشَّقْتُ فِي حَيَاتِي وَكَمْ زُرْ ... تُ عَيْنِي مَرْأَى ، وَقَلْبِي شُعُورَا
غَيْرَ أَنِّي رَجَمْتُ أَدْرَاجَ ذَاكَ الْـ ... ـمَيْشِ أَبْغِي إِلَى الهُدُوءِ مَصِيرَا
يَا مَطَافَ الجَمَالِ بِاللهِ كُنْ لِي ... شَاطِئاً لِلسُّلُوِّ يَوْماً قَصِيرَا
لَيْسَ غَيْرُ النِّسْيَانِ يَمْلَأُ نَفْسِي ... أَمَلاً وَاسِعاً وَصَبْراً غَزِيرَا

***

إِنَّ نَفْسِي فِي هَدْأَةٍ وَفُؤَادِي ... فِي ارْتِيَاحٍ يَفُوقُ كُلَّ ارْتِيَاحِ
لَمْ يُعَكِّرْ صَفَاءَهُ الأَلَمُ المُرُّ (م) وَمَا فِي حِمَاهُ مِنْ أَتْرَاحِ
وَالضَّجِيجُ القَصِيُّ لِلْكَوْنِ يَفْنَى ... كَفَنَاءِ الأَشْبَاحِ فِي الأَشْبَاحِ
مِثْلَمَا يُضْعِفُ المَدَى الصَّوْتَ فِي الأُذْ ... نِ تَمَشَّتْ بِهِ مُتُونُ الرِّيَاحِ

***

قَدْ رَأَيْتُ الحَيَاةَ بَيْنَ الغُيُومِ ... تَتَوَارَى فِي الغَابِرِ المَوْهُومِ
وَيَضِيعُ البَرِيقُ مِنْهَا وَيَخْفَى ... خَلْفَ سِتْرٍ مِنَ الزَّمَانِ القَدِيمِ
غَيْرَ بَاقٍ مِنْهَا سِوَى الحُبِّ يَبْدُو ... فِي إِطَارٍ مِنَ الخَيَالِ عَظِيمِ
وَحْدَهُ ثَابِتٌ لَدُنْ قَدْ أَفَاقَ الـ ... ـقَلْبُ مِنْ حُلْمِهِ العَمِيقِ الهُمُومِ

***

إِيهِ نَفْسِي قِفِي عَلَى المَلْجَإِ البا ... قِي وَلُوذِي بِهِ لِكَيْ تَسْتَرِيحِي

مثلمـا يجلسُ المسافرُ والقا ... بُ مَلِيٌّ مِنَ المرامِ المُرِيحِ
هادئُ البـالِ قَدْ تَهَنَّا لمَّا ... بَلَغَ القَصْدَ بَعْدَ سَيْرٍ طَلِيحِ
راح يَسْتَنْشِقُ الهواءَ نقيًّا ... فى مَساءٍ بالنَّافِحَاتِ طفُوحِ

***

مِثْلُهُ فلْنُثِرْ غُبَارَ خُطانا ... مالنا رجعةٌ إلى ذى الطَّرِيقِ
مِثْلُهُ فَلْنَشِمَّ فى غايةِ العُمْـ ... ـرِ أريجًا مِنَ الصَّفاءِ العميقِ
حُلُمٌ عَيْشُنا يَمُرُّ ويَمْضِى ... غيرَ حُلْوِ الرُّؤَى وغيرَ أنيقِ
مابِهِ جِدَّةٌ يَرِفُّ سناها ... وهو عُمْرٌ بِكُلِّ رَنٍّ عتيقِ

***

إنَّ أيَّامَكِ القِصَارَ العَبُوسَا ... تِ كمِثْلِ الخريفِ فى الإجْهَامِ
تَنْطوِى مِثْلَما يُغَيِّبُ ظِلٌّ ... فى ثنايا الهضابِ والآكامِ
ثُمَّ تَرْوِى عنكِ الصداقةُ والعط ... فُ يُوَلِّى مُوَشَّحًا بظلامِ
فى طريقِ القُبُورِ تَهْوِينَ حَسْرَى ... وتضيعين فى سجونِ القَتَامِ

***

بيدَ أن الطبيعة الرحبةَ القا ... بِ تُنَاديكِ فى حنانٍ عظيمِ
فَاغْمِسى روحكِ اللهِيفَةَ فيها ... فهْىَ أحْنَى مِنْ كلِّ قلبٍ رؤومِ
فإذا ما ضجرْتِ مِنْ عالمِ البغْـ ... ـضِ وما فى مطافِهِ مِنْ هُمُومِ
فارجعى القَهْقَرَى إليها ترَىْ عا ... لَمَ حُبٍّ قد ضَمَّ كلَّ مرومِ

***

فهْىَ توليكِ ظِلَّهَا وسناها ... وتُصَفِّى مِنَ الأثامِ هواكِ
أنْصِتِى للصَّدَى العَمِيقِ «فيبتا ... غور» قد تامهُ صدَى الأملاكِ
فاعبُدِيهِ وقدِّسِيهِ طويلاً ... إن فيهِ ما تَشْتَهِيهِ مُنَاكِ
أرْهِفِى أُذْنَكِ اللَّطِيفَةَ تَسْمَعْ ... فى سَمَاهَا نشائدَ الأفلاكِ

***

اتْبَعِى النُّورَ فى السَّمَاءِ وَمَاشِى الـ ... ـظِلَّ فى الأرْضِ وَامْرَحِى فى الوِهَادِ
واصْعَدِى فى رُبَا النَّسِيمِ مع الرِّيـ ... ـحِ التى لا تَعِى مِنَ الإنْشَادِ
وَامْلِئِى الغَابَ فَرْحَةً وَالسَّوَاقِى ... وَاسْرَحِى طَلْقَةً مِنَ الأصْفَادِ
خاصِرِى ذلكَ الشُّعَاعَ السماوىَّ (م) وَهِيًّا ارْقُصِى بِظِلِّ الوَادِى

***

فَتَحَ اللهُ بالذَّكاءِ بَنِى الأرْ ... ضِ لكى يهتدُوا إلىٰ مُوحِيهِ
وَيُنَاجُوهُ ضَارِعِينَ إليهِ ... لم يخِبْ قطُّ فى الدُّنَا رَاجِيهِ
إنَّ صَوْتًا يُخَاطِبُ الرُّوحَ حُلْوًا ... وَهْىَ غَرْقَى فى صَمْتِهَا والتِّيهِ
آهِ مَنْ لم يَسْمَعْ نِداءً خفِيًّا ... هُوَ فى قَلْبِهِ صَدَىٰ مُلْقِيهِ

دمشق

أنور العطار
من المجمع الأدبى

حنين الى نخلة

يا نخلةً فى أعالى النهر باسقةً ... قلبى إليك يذوب اليوم تحنانا
هلا تزالين مثل الأمس وارفة ... ولم يزل سعفك المخضر ريانا ؟
تشدو القمارى فيه بكرةً وضحىً ... ويهجع البلبل الغريد سكرانا
والنهر تحتك يجرى باسماً طلقاً ... والموج يغدو ويجر الذيل خجلانا
والفلك دونك تسرى وهى حاملة ... من أهل جنتنا حوراً وولدانا
يا نخلةً أهلها يرجون غلَّتها ... ونرتجى ظلها الزاهى ليرعانا
قولى بربك هل مازلت قائمةً ... ولم يزل ظلك الفينان فينانا
يا نخلةً قد سقيناها بأنفسنا ... إذ نستقى فى حماها اللهو ألوانا

هل صنتِ سرى وعهدى بعد أن فضحت
سرى الليالى وخان العهد من خانا
من مسَّ جذعكِ بعدى جذَّ ساعده
أو نال سعفك يوماً نال أحزانا
لا طاب تمرك بعد اليوم من ثمر ... ولا أفاتِ بظل منك انسانا
حتى ترد لنا الأيام غربتنا ... وترجع العيش صفواً مثل ما كانا!

بغداد

فتى شط العرب

خولة بنت الأزور الكندى

بقلم . م . أسعد طلس

فى السنة الثالثة عشرة للهجرة يعزم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفتح الشام فيجمع الصحابة ويخطبهم قائلاً « . . . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عول أن يصرف همته الى الشام فقبضه الله إليه ، واختار له ما لديه ، ألا وإنى عازم أن أوجه أبطال المسلمين الى الشام بأهليهم وما لهم ، فماذا ترون ؟ » فلا يرى من المسلمين إلا ارتياحاً ، فيعمد الى بقية الأمصار الاسلامية من أطراف الجزيرة فيكتب إليهم بالأمر ، ويستنفرهم خفافاً وثقالاً ليجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، وما هى إلا أسابيع حتى تقدم عليه الوفود فى العدد العديد ، والذرارى والأموال ، فيخرج إليهم المسلمون مستقبلين بوجوه باسمة ، وقلوب جذلانة ، ويعم المدينة روح مبارك ، وكيف لا والمسلمون يجتمعون كلهم فى صعيد واحد لنصرة دين الله ، ورفعة شأو التوحيد .

ها هى ذى حمير بدروعها الدوادية ، وسيوفها الهندية ، تزحف بآلافها المؤلفة وعلى رأسها زعيمها ذو الكلاع الحميرى ، يكبر ويهلل والقوم من ورائه يكبرون ويهللون . وها هى ذى كتائب مذحج وطىء والأزد وكنانة بخيولها العتيقة ، ورماحها الدقيقة ، تؤم عاصمة الاسلام ، فما أن يراهم أبو بكر حتى يخر لله شاكراً أن ألف من هذه القبائل المتنافرة أمة واحدة ، نزع الله ما فى قلوبها من غل ، وجعلهم بنعمته اخواناً ينصرون دينه وينشرون رسالة نبيه . فى أطراف المعمورة .

اجتمعت هذه الآلاف العديدة فعسكرت خارج المدينة تنتظر إشارة أبى بكر خليفة رسول الله ، وما أن تكاملت الوفود حتى خرج إليهم رضوان الله عليه فى جمهرة من كبار الصحابة ، فلما أن أشرف عليهم من على ورآهم قد ملأوا السهول والجبال حتى حمد الله وقال « اللهم أنزل عليهم النصر وأيدهم ، ولا تسلمهم الى عدوك إنك على كل شىء قدير »

ثم أمر الأمراء وعقد الألوية ، وأوصاهم وصيته الخالدة وفيها يقول « . . . شاورهم فى الأمر ، واستعمل العدل ، فانه لا أفلح قوم ظلموا ، وإذ لقيتم العدو فلا تولوهم الأدبار ، وإذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولداً ولا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ، ولا تغدروا اذا عاهدتم . وستمرون على قوم فى الصوامع رهباناً يزعمون أنهم ترهبوا فى الله فلا تهدموا صوامعهم ودعوهم . . . » فأمن القوم وهللوا فدوت بأصواتهم الجبال ، ثم ساروا على يمن الله ، وسار الخليفة وكبار الصحابة يودعونهم حتى ثنية الوداع .

سار القوم وكلهم إيمان وصبر ، وعزيمة وحزم ، وطاعة لأمرائهم ، وجلد على السير ، وتواد وتعاطف .

كان فى هذا القوم شاب كندى ما جاوز العقد الثالث ، جميل المحيا ، عالم بفنون الحرب ، فاتك فى النزال ، قوى الايمان بنصرة الله عباده المخلصين ، لا يعرف إلا الاقدام ، يتقدم الجيوش والمنية مشهرة سهامها . ذلك هو الأمير « ضرار بن الأزور الكندى » الشاب الحدث الذى ما أغنا غناءه بطل فى فتوح الشام إلا سيد القواد سيف الله خالداً .

وكان فى الغازيات اللائى كن يتبعن هذا الجيش ، كاعب عروب ، ذات جمال باهر ، وطرف فاتر ، خرجت فيمن خرجن من عقائل حمير تأسوا الجرحى ، وتعين على نصرة الحق . ولقد أبلت بلاء مشاوير الأبطال ، فكان هذا الغزال الغرير ينقلب الى أسد كاسر يصلى العدا ناراً حامية ، يروع القلوب ، وتجف من هوله الأفئدة ، ولم لا وهى إبنة « الأزور » ذلك البطل الذى قضى بين يدى المصطفى دفاعاً عنه ، وأخت ضرار صاحب فتوح الشام ؟ . . .

المسلمون يحاصرون دمشق وأهلها فى أشد الضيق ، وبينا المسلمون يكادون يظفرون بالقوم ، إذا هم برسول من قائد جند أجنادين ، يخبر خالداً أن الروم تجمعوا عليهم فى أجنادين فى عدد عديد ، فيشاور خالد أبا عبيدة فى ترك دمشق ، فلا يرى ذلك أبو عبيدة فيقول خالد « فأرى أن ترسل إليهم كتيبة عليها قائد درب ، وأرى أن ترسل إليهم يا أمين الأمة رجلاً لا يخاف الموت أبداً ، خبيراً بلقاء الرجال ، قد مات أبوه فى القتال ، فقال أبو عبيدة ومن ذلك يا أبا سليمان ؟ قال هو ضرار بن الأزور بن طارق ، فقال أبو عبيدة لقد صدقت ووصفت رجلاً باذلاً معروفاً » (١) .

استدعى خالد ضراراً فقال له « يا ابن الأزور أريد أن أقدمك على خمسة آلاف ، قد باعوا أنفسهم من الله عز وجل

(١) فتوح الشام للواقدى

واختاروا دار البقاء والآخرة على الأولى ، فقال ضرار « وافرحتاه يا ابن الوليد ، ما دخل قلبي مسرة أعظم من هذه . ثم يسير ضرار على يمن الرحمن ، فلما بلغ أجنادين رأى جيش الروم ينحدر كأنه الجراد المنتشر ، وهم غائصون فى الدروع وقد أشرقت الشمس عليهم ، فلمعت دروعهم وخوذهم ، فقال أصحاب رسول الله لضرار سمانا لنا والله بهم حول ، فان هؤلاء جيش عرمرم ، وخير لنا أن نقفل » فيكره ضرار ذلك القول ويقول « والله لا يرانى الله منهزماً ، ولن أزال أضرب بسيفى فى سبيله وأتبع سبيل من أناب إليه ، ولا أوليهم الدبر ، والله يقول (ولا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله) . . . » ثم تكلم رافع بن عميرة فقال « يا قوم اما نصركم الله فى مواطن كثيرة وأنتم قليلو العدد ؟ ألا أن النصر مقرون مع الصبر . ولم تزل طائفتنا تلقى الجموع الكثيرة ، فاتبعوا سبيل المؤمنين ، وتضرعوا الى رب العالمين ، وقولوا كما قال قوم طالوت (ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) . . » فيسترد القوم قواهم ويهللون ويكبرون (الله أكبر ، الله أكبر ، سيهزم الجمع ويولون الدبر) .

التقى الجمعان وضرار يتقدم القوم وهو يرجز :

للموت حتى أين لى منه المفر وجنة الفردوس خير المستقر
هذا قتالى فاشهدوا يا من حضر وكل هذا فى رضا رب البشر

ثم اخترق القوم وحمل عليهم حملة نكراء فأحدقوا به ، فأخذ يستصرخ قومه ويقول : « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » فيهجم المسلمون ويصيب ضراراً سهم فى عضده فيطمع الروم فيه ويحملون عليه فيأسروه . ويجىء خالداً الصريخ فيولى على جند دمشق ميسرة بن مسروق سيد بنى عبس ، ويتوجه بطليعة إلى أجنادين ، وكان بين جنده فارس على جواد فاره وبيده رمح طويلة ، قد تجلبب بجلابيب سود ، وتلثم حتى لا يرى منه إلا الحدق ، وكان يسبق القوم وخالد يعجب من أمره ، فلما أن أدرك خالد المسلمين فى أجنادين وجد هذا الفارس المتلثم يهبط على الروم كأنه النار المحرقة ، فزعزع الكتائب وحطم الأجناد . وكان يخترق قلب خميس الروم ، فما هى إلا جولة جائل حتى يخرج وسنانه ملطخ بالدماء ، وقد جندل رجالاً وصرع أبطالاً . ثم يعود فيخرق القوم ثانية معرضاً نفسه للهلاك والناس أمامه اما مصروع أو فارّ . وكثر قلق المسلمين عليه وهم لا يدرون من هو — وقد ظنه بعضهم خالد فما هى إلا جولات خالد — ولما رأوا خالداً بينهم سألوه عنه فقال أنا والله لأشد إنكاراً وتعجباً .

وما أن غابت الشمس ووقفت الحرب ، حتى أحدق القوم بهذا الفارس وفيهم خالد يسألونه عن اسمه فلا يجيب ، ثم ينتحى بخالد زاوية فيقول له : « ماسكت يا سيف الله حين سألتمونى عن اسمى إلا حياء منك لأنك أمير جليل ، وأنا من ذوات الخجال ، وإنما حملنى على ذلك أنى محرقة الكبد ، زائدة الكمد . فقال : من أنت ؟ قالت : خولة بنت الأزور أخت ضرار أسير الروم ، أتانى آت بخبر أخى فركبت وفعلت مافعلت . » .

أشرقت الشمس فجدد المسلمون عزائمهم وكروا على القوم وحملوا حملة عظم أمرها على الروم ، وكانت خولة تجول فى كل مكان تطلب أخاها وهى لا ترى له أثراً ولا يراه أحد من المسلمين فيعم القوم حزن شديد وتبكيه بقولها : « يا ابن أمى ! ليت شعرى فى أى البيداء طرحوك ، أم بأى سنان طعنوك ، يا أخى ، أختك لك الفداء . . . ليت شعرى ، أترانى أراك بعدها أبداً ؟ فقد تركت فى قلب اختك جمرة لا يخمد لهيبها ولا يطفأ ، فعليك منى السلام إلى يوم اللقاء » . فبكى القوم وبكى خالد لحالها . وبينما المسلمون فى شدة واضطراب إذا هم بمن يخبرهم بأن الروم أخذوا ضراراً إلى صاحب حمص لينفذه إلى الملك ، ففرح خالد وتهلل وجهه ، وشكرت خولة الله ، فدعا خالد رافع بن عمرة الطائى لينفذه إلى حمص ، فسار خالد فى مئة منهم خولة ، فما وصل القوم قرب حمص حتى كمنوا ، فبينما هم كذلك إذا بنفر أقبلوا ، فنبه رافع قومه ، فلما قاربوهم كر عليهم رافع فاذا فيهم ضراراً فتجالد الفريقان حتى أنقذ ضرار ، فخرت خولة لله شكراً وشكر خالد لرافع بلاءه .

هذا موقف من مواقف بسالها الخالدات ، وما موقفها يوم أسر النساء فى يوم صحورا والناس يغزون الشام بالأمر الذى ينسى فقد ذكر الطبرى أنها أسرت فى فريق من نسوة حمير . فجمعتهن وخطبتهن تستحثهن على الثورة على هؤلاء الأعلاج ، وقالت « يا بنات حمير ، وبقية تبع ، أترضين لأنفسكن عاوج الروم ، وأن يكون أولادكن عبيداً لأهل الشرك ، فأين شجاعتكن التى تتحدث بها عنكن أحياء العرب ، ولا أراكن إلا بمعزل عن ذلك ، وإنى أرى القتل عليكن أهون من هذه المصائب ، وما نزل بكن من

في الأدب الفرنسي

٥ ـ الدوق دى لاروشفوكو

للدكتور حسن صادق

ثم انتقل الى وصف عواطفه فقال « إنه رحب الاناة ، ناصح السريرة ، لا يتملكه الغضب ، ولا يضمر لاحد من الناس العداوة والبغضاء » . وعقب هذا الوصف قال : « لست مع ذلك عاجزاً عن الانتقام لنفسى اذا اعتدى أحد على أو أساء الى شرفى . وفى هذه الحال أومن بأن الواجب يقوم فى نفسى مقام الحقد ، ويأمرنى بأن أتم انتقامى فى صلابة وعزم »

وليس فى هذا القول شذوذ أو غرابة ، ولكن ما يقوله عن الشفقة يثير الدهشة والعجب : « إنى قليل الشعور بالشفقة ، وأستريح الى ذلك جد الراحة . ولكنى اذا رأيت انسانا جعجعت به المصائب ، بذلت غاية جهدى فى مواساته . وأعتقد حقاً أن من الواجب على الانسان أن يسلك كل السبل التى تؤدى الى اظهار الشفقة على من تصيبه الارزاء والمحن ، لان البائسين أغبياء الى درجة تجعلهم يجدون فى اظهار الشفقة عليهم والرثاء لحالهم راحة وعزاء . وأجد من الحزم إظهار هذه العاطفة دون الشعور بها صدقاً ، لانها لا تصلح لشىء فى دخيلة الانسان ولا عمل لها إلا إضعاف القلب وتحطيمه ، ويجب النزول عنها للدهماء لانهم لا يفعلون شيئاً بايحاء العقل فهم فى حاجة الى عاطفة تحفزهم الى العمل »

وقوله هذا يعبر أبلغ تعبير عن روح القرن السابع عشر الذى عرف الناس فيه بصلابة القلب وضعف الحساسية . كانوا أثناء الحرب الاهلية يدمرون نهارا ويقتلون ، ثم يرقصون ليلا ويمجنون ، وكانوا يتحدثون عن التعذيب والقتل فى بساطة الحديث عن الدعابة الفرحة ، والفكاهة الشهية .

ويجمل بنا فى هذا المقام أن نذكر رأى ثلاثة من قادة الفكر فى هذه العاطفة ، لنرى الفرق الشاسع بينهم وبين لاروشفوكو . فونتنى [1] يقول : « انى شديد الميل الى الرحمة والوداعة » . وديكارت [2] يرى أن ميزة النفس الكبيرة « أن يكون شعورها

خدمة الروم الكلاب » فقالت عفراء بنت غفار الحميرية « صدقت والله يا بنت الأزور ، نحن والله فى الشجاعة كما ذكرت ، وفى البراعة كما وصفت ، لنا المشاهد العظام ، والمواقف الجسام . ولقد اعتدنا ركوب الخيل ، وهجوم الليل . غير أن السيف يحسن فعله فى مثل هذا الوقت ، ولقد دهمنا العدو على حين غرة ، وما نحن الا كالغنم بدون سلاح » فقالت خولة « يا بنات التبابعة ، خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب ، نحمل بها على هؤلاء ، فلعل الله ينصرنا فنستريح من العرة » فقالت عفراء « والله ما دعوت إلا ما هو أحب إلينا » ثم تناولن الأعمدة وتقدمتهن خولة وهى تقول لهن لاينفك بعضكن عن بعض ، وكن كالحلقة الدائرة ، وأوسمن أرحل أفراس القوم ضرباً ، ولا تتفرقن فيقع بكن التشتيت ، ثم هجمت وهى تقول :

نحن بنات تبع وحمير ... وضربنا فى القوم ليس ينكر
لأننا فى الحرب نار تسعر ... اليوم تلقون العذاب الأكبر

وما هى إلا جولات حتى خلصن الى المسلمين .

هذان موقفان من مواقف البطولة فى هذه المرأة العربية المسلمة ولقد كان لها رضوان الله عليها مواطن أخر غر صالحات . جعل الله منها اسوة حسنة لمرأة اليوم ، هداها الله أقوم طريق .

م . أسعد طلس

---

(١) ١٥٣٣ — ١٥٩٢ فيلسوف فرنسى وكاتب أخلاق خالد الذكر . تعلم اللاتينية طفلاً ، ولما بلغ السادسة من عمره كانت هذه اللغة هى الاداة التى يخاطب بها الناس . وفى عام ١٥٥٦ أتم دراسة القانون واشتغل بالقضاء عام ١٥٧٠ . ثم اعتزل منصبه ووقف أوقات فراغه على البحث والدرس والسياحة . وبدين بشهرته الى كتاب واحد وضعه وسماه « تجارب » لأنه كما قال أراد يجرب ملكاته الطبيعية . وقد جمع فى هذا الكتاب موضوعات فى التاريخ والفلسفة والسياسة والأدب وصور فيه نفسه والانسانية وكون آراءه فى الانسان من الاختلاط بأهل عصره وملاحظتهم ، ومن كتب القدامى كبلوتارخوس وسينكا . وهو يعتقد أن العقل عاجز عن ادراك الحقائق الميتافيزيكية بدون وحى أو إلهام الا هى . وكان يحرص على دين أبويه ، ولكن روح المسيحية لم ينفذ الى قلبه . وهو وافى فى اعتقاد بعض الناس ومتشكك فى ملة البعض الآخر . وكان من الناحية الاخلاقية أبيقوريا ، ولكنه كان يؤمن ببعض فضائل ، مصدرها الرضاء بالقدر والصبر على المكاره ، وبقوة الارادة ، وأسلوبه ظريف فرح حى نضير

(٢) ١٥٩٦ — ١٦٥٠ فيلسوف فرنسى عظيم ، صاحب مذهب خاص يقتضى التجرد من كل المعلومات السابقة والبناء من جديد على نور العقل ، أى اتخاذ الشك سبيلاً الى اليقين . وقد بدأ بالشك فى الوجود ثم ثبت له أن آلة الشك هى الفكر ، فآمن بوجود الفكر والمفكر

بآلامها أضعف بكثير من شعورها بآلام غيرها » . ويتطلب لابرويير[1] من النفس العالية « أن تكون قوية الشكيمة فلا تلين صعدتها إلا أمام عاطفة واحدة هي الشفقة »

ومما يدعو الى العجب أن لاروشفوكو الذي ينكر هذه العاطفة في مقاله ومواعظه ، يقرها في مذكراته ورسائله . فقد كتب عن ثورة الفلاحين في (بواتو) التي سبق ذكرها في تاريخ حياته يقول : « لا أنكر أن بؤسهم جعلني أنظر بعين الشفقة الى تمردهم » . ثم طلب من الوزير ما زاران في ذلك الوقت أن يمنحه حق العفو . ولما أجيب الى ما طلب أحسن استعمال هذا الحق ، فلم يخدش شرفاً ولم يسفح دماً . وقبل موته بقليل أي في عام ١٦٧٤ كتب الى الآنسة دي سكودري يقول : « بودي لو تنفق سوق الرحمة وتصبح بدعة يولع الناس بها ، فلا يقع بصرنا بعد ذلك على بائسين » . وكثيراً ما رأته مدام دي سفنيه « متليساً بالحنان » ، فأدركت أنه يظهر من عواطفه وقلبه غير ما يبطن . ويغلب على ظننا أن هذا الرجل لم يميز طبيعة نفسه من الأثر الذي أنشأته فيها البيئة والبلاط . فقد اشترك في الدسائس ورأى الأمراء والعظماء يتكالبون على متاع الحياة ، ويجدون في البحث عن مصلحتهم الذاتية في جشع وخسة ، فكرههم واحتقرهم وقسا في الحكم عليهم ، مع أنه بطبعه كريم رحيم . وأثر البيئة هو الذي جعله يخلص الود لعدد قليل من الناس اختارهم قلبه ، وهذا شأن المتشائمين أمثاله ، يضعون كل افتقارهم الى الحب في بعض أفراد أعزاء عليهم . وهذا الافتقار الى الحب هو جوهر نفورهم من الناس

وكان لاروشفوكو الى جانب الصفات التي سبقت ، طموحاً ولو أنه ينكر ذلك . لم يستحوذ عليه طموح ريشليو ، أو على الأقل عجز عن بلوغ شأو هذا السياسي العظيم ، فتمتع بالسعي وراء الحصول على لقب لزوجه ، والسماح له بدخول قصر اللوفر في عربة . فلما أخفق في سعيه ، اقتصر طموحه على كتابة «المواعظ»

وقد حال خجله دون دخوله مجمع العلماء لأنه كان يعجز عن الكلام أمام جمع كبير من الناس ، وتقليدات المجمع تفرض عليه أن يرد على خطبة الاستقبال بخطبة أخرى وما كان يجيد الحديث إلا في الصالونات الأدبية التي يؤمها عدد قليل من الأصدقاء الأخصاء . وكان من عادته أن يتكلم قليلا ، وينفر من الثرثارين الذين يدمنون الخطابة في الحديث ، ويفرضون الصمت والاصغاء على غيرهم . ويعتقد أن « المصلحة الذاتية هي روح عزة النفس أو الأثرة » حتى في السمر والمناقشة ، فاذا لم يفكر كل إنسان إلا في نفسه وفي قوله ، شل الآخرين وبعث في نفوسهم الضيق والضجر ، ويرى أن أمثل الطرق لانعاشهم وإنقاذهم من الملل هو الاصغاء إليهم وإظهار الابتهاج بقولهم . ومن وصاياه المأثورة : « يجب الاصغاء الى المتكلم مهما كان حديثه واهي الرباط طائش الغرض عاريا من المعنى . ولا أوصي بتجنب معارضته ومقاطعته فحسب ، بل أوصي أيضاً برياضة النفس على احتمال روحه وذوقه والاطمئنان إليهما والتشبع بهما ، وإطراء قوله بقدر ما يستحق ، ووضع هذا الاطراء في قالب أميل الى الحقيقة منه الى اللياقة والمجاملة » . وعرف بالتجربة واللاحظة أن لا شيء أبغض الى النفس وآلم للأذن من أن يجعل الانسان نفسه محور الحديث في كل موطن ، فتجنب ذلك جهد المستطاع

وكان يكره من المتكلم لهجة الثقة المستبدة والتعبير الذي يدل على البحث الطويل واعنات القريحة ، ويكلف بتوزيع القسط بين المعاني والمباني . ويميل الى الايجاز الممتع ويفخر بذلك « من شأن العقول الكبيرة أن تدل بقولها الموجز على كثير من المعاني . ومن صفات العقول الهزيلة أن تتكلم كثيراً ولا تقول شيئاً » . وقد أجاد الايجاز في مواعظه الى درجة كادت تبلغ حد الكمال . ولنضرب مثلا هذه الموعظة : « يملك الانسان دائماً ما يكفي من الجلد لاحتمال آلام الغير » ، فليس من المستطاع « تكثيف » الحكم في كلمات أقل من هذه . وهذا الايجاز يجعل « للمواعظ » قيمة تاريخية هامة ، لأنها تعين طوراً جديداً للنثر الفرنسي . وقد قدرها فولتير حق قدرها فقال : « يرجع أكثر الفضل في تكوين ذوق الأمة وجعلها تتعشق الاصالة والدقة الى مواعظ لاروشفوكو »

(البقية على صفحة ١٥٩)

(١) ١٦٤٥ — ١٦٩٦ أحد حكماء فرنسا وفلاسفتها الأخلاقيين . كان معلماً لحفيد الأمير دي كونديه . وفي عام ١٦٨٨ نشر كتابه الخالد «خصال» مع ترجمة كتاب ثيوفراست الفيلسوف اليوناني المشهور وعنوانه « خصال » أيضاً ومن يقرأ كتابه يلمح فيه أثر لاروشفوكو ردحاً من الزمن . وقد حمل فيه على مظالم عصره في أسلوب لاذع أخاذ ، وعلى التفاوت الأليم في المعيشة بين الأغنياء والفقراء . وفي عام ١٦٩٣ أصبح عضواً في مجمع العلماء

العلوم

جاليليو

١٥٦٤ — ١٦٤٢

بقلم عبد الرحمن فهمي
بكالوريوس فى الآداب

يمكننا أن نقول ان الكواكب فى مسارها حفظت للجنس البشرى عبقرية جاليليو . وجاليليو هو الابن البكر لأب فقير ، بدأ تعلمه فى دير بالقرب من فلورنسا ، وبينما هو على وشك أن يكون راهباً رأى أبوه أن يرسله الى جامعة بيزه ليتعلم فيها علوم الطب ، مستعيناً على ذلك بموارد الأسرة الضيقة المحدودة .

وبينما كان الطالب الصغير يقضى بعض أوقات فراغه فى العبادة بكتدرائية بيزه ، لاحظ ان المصباح الهائل المعلق فى سقفها يتأرجح كما لو كان به مس من تيار شارد من الهواء ، ولحظ أيضاً ان قوس التذبذب سواء أكبر هذا القوس أم صغر يكمل دورته فى وقت بذاته ، فاستخلص من ذلك قانون اضطراد (البندول) .

وسنحت له الفرصة عن طريق المصادفة ، فاستمع الى محاضرة فى العلوم الرياضية فى بلاط الدوقية الكبير فى بيزه ، ومنذ هذه الساعة تعلقت نفسه بالأبحاث الرياضية فترك الجامعة ولم يستطع أبوه إرغامه على البقاء بها ، وقضى سنوات مجدبة فى درس العلم الجديد الذى اختاره لنفسه فى حماسة فائقة ، ولكنه استطاع فيما بعد أن ينال من الجامعة أجراً ضئيلاً على محاضرات فى الرياضة يلقيها على طلابها .

وكان أجره من الجامعة قليلاً ، ولكن تهيأت له فيها صفحة جديدة لمستقبل مجيد من أعلى برجها المائل ، وتفصيل ذلك أن أحداً لم يكن ليفكر حينئذ فى نزعزعة عقيدة راسخة فى الأذهان هى أن سرعة الأجسام الثقيلة ترجع فى هبوطها الى أوزانها ، فقذيفة المدفع مثلا تهبط أسرع مما لو هبطت ريشة . ولكن جاليليو نسب سرعة الهبوط الى مقاومة الهواء ، ودلل على صحة ذلك بأن ألقى عدة أجسام معدنية وخشبية من حجم واحد من أعلى قمة برج بيزه ، وأرى العلماء أن هذه الأجسام تصل الى الأرض فى أوقات متقاربة جداً ، وبرهن بذلك على أنه لم يكن لأوزانها تأثير مذكور فى سرعة هبوطها ، فقضى على اعتقادات قديمة وخلق لنفسه أعداء كثيرين . ثم بدأ يتفهم طبيعة الجاذبية التى بقيت راسخة فى عقله ولكنها لم تخرج من حيز هذا العقل .

وترك بيزه الى فلورنسا لما طردته الجامعة ، وفى هذا الوقت مات أبوه ، واضطره الدهر الى أن يعول باقى أفراد أسرته . ولكنه فيما بعد استطاع أن يوجد له كرسياً فى جامعة پادوه ، ومن هذا الكرسى واصل بحوثه ونظرياته العلمية ثمانية عشر عاماً بين استحسان ايطاليا وإعجاب أوروبا كلها ، فأضحى بذلك أحد المفكرين الخالدين .

ولم يكن جاليليو ليستفيد من بعد نظره وقوة إدراكه فقط ، بل استفاد أيضاً من أبحاث غيره واكتشافاته ، وبعد اختراع (التلسكوب) وهو المثل الأعلى بين كافة أبحاثه واختراعاته ، فى حوالى هذا الوقت اخترع جوان ليپرشى من هولانده بعض العدسات ، وما أن سمع بهذا الاختراع حتى استولى عليه ، وأوجد من هذه العدسات أول مجهر فلكى ، وبه حول أبحاثه وخواصه الى الفضاء حيث كشف جديداً غير معروف ، وقضى على معتقدات قديمة : كشف سطح القمر الجبلى ، وأثبت طبيعة إضاءته بالانعكاس الضوئى ، ومحا خرافة المجرة ودلل على أنها مجموعات من الكواكب ، كذلك كشف أقمار زحل وأوجه الزهرة ، واستعان بكل هذه الاكتشافات على تخليد الحق فى تاريخ الفلك ، وهو كل ما كان يعنى به من أبحاثه الطويلة ، فأخذ عالم الخرافات المظلم فى هذا الحين يستنير بضوء هذا الحق .

وكان جاليليو خلفاً لكوبرنيق الذى أثبت أن الأرض

والكواكب تدور حول الشمس ، وليست الشمس والكواكب هي التي تدور حول الأرض كما اعتقد ارسطاليس ، بل ان كبلر وهو من معاصري جاليليو أوغل في هذا البحث ، فدرس طبيعة مدار الكواكب . وبينما كان جاليليو يدري هذه الحقائق الفلكية كان باقي العالم ولا سيما الكنيسة ينكرها بتاتاً .

ولم تحرك الكنيسة ساكناً في بادئ الأمر ، زعماً منها ان العاصفة التي نفخها جاليليو لا تلبث أن تهدأ ، ولكن بحوث الفلكي وطريقة عرضها نبهت الأذهان الى مناقضتها ، لما جاء في الكتاب المقدس ، وقويت الشبهة ضده بتأثير جيورد انو برونو ، وهو زنديق ثائر على المسيحية ، مفكر حر ، بالرغم من ان جاليليو أعلن أنه ينكر على جيورد انو أن يقول عن بحوثه العلمية انها تبرهن على تخبط الدين المسيحي ، وحاول أن يظهر للعالم ان اكتشافاته العلمية لم تعارض يوماً ما التعاليم الدينية المقدسة ، إلا أن ذلك لم يفده ، بل استدعته روما اليها ليدافع عن نفسه ويبرر هرطقته . ولكن كان له في البلاط البابوي أصدقاء ومريدون من علماء غير متعصبين ، فسمعوا لنقاشه ، ثم سمحوا له بالعودة الى فلورنسا . وعاد اليها وهو يعتقد أن من حقه أن يتابع بحوثه دون إذاعتها . وكانت معاهدة بين الجانبين بعد عودته الى فلورنسا ظل فيها سبعة أعوام ساكناً راكناً الى قريحته العلمية الوقادة .

إلا أنه لم يكن من طبعه وجبلته أن يبقى ساكناً الى الأبد ، فطبع مطبوعات مختلفة مطولة ضمنها محاوراته ومناظراته في نظام الأرض ، وعندئذ استدعي الى روما مرة أخرى ، ولكن ليقابل في هذه المرة بابا عابساً حانقاً على رجل متمرد ناكر للجميل ، ولم تقبل منه شفاعة ، بل اضطر تحت تأثير آلات التعذيب الى أن ينقض أفكاره ، ثم حكمت المحكمة عليه بالسجن ، إلا أن هذا الحكم لم ينفذ ، وانما استبدلوا به يكفر عن خطيئته بتلاوة أدعية التوبة ، وهي من سبعة أبواب في الزبور مرة في كل أسبوع . وتتصل بهذا العبث الرسمي من جانب الكنيسة فكاهة طريفة وهي أن جاليليو في كل مرة عند ما كان ينهض من ركوعه بعد تلاوته الأدعية وقسمه اليمين بنقض معتقداته في الفلك ، كان يقول بصوت خافت (ولكن الأرض ما زالت تدور) .

كانت هذه الكلمات تقال بصوت يكاد لا يكون مسموعاً ولكن فكر العالم بدأ يلتهب بهذه الشرارة ، وكان جاليليو رمزاً لتوسيع حدود العالم برغم محاولات الصلف والتحكم لتضييق محيطه ولا يزال الكون دائراً على رغم عرقلة المعرقلين من رجال الدين والمتعصبين ضد دورانه .

فهل يعد خضوع جاليليو للكنيسة جبناً منه ؟ إن لكل بطل ساعة جبن في حياته ، وقد تقلب الزمن من عهد هذا الفلكي العظيم حتى اليوم ، فرأينا الآن الجمعية الايطالية الملكية تطبع على النفقة العامة كل مؤلفاته في واحد وعشرين مجلداً ، شاملة وثائق محاكمته ومضابطها ، وكان جد راغب في تجنب التصادم مع تعاليم الكنيسة ، فأذعن لحقها في تعليم كافة الناس الايمان بالدين ، وبلغ من ذلك أنه كان يؤمن في الظاهر بكل ما كانت تطلب اليه أن يؤمن به ، وباعد بقدر استطاعته بين العلم والدين علماً منه بما يجب أن يكون بينهما من مسافة سحيقة ، وجعل آراء كل منهما منفصلة تمام الانفصال عن الأخرى .

ولكن لِمَ كل هذا ، وغيره من الناس لم يكن ليفعل ذلك لو كان مكانه ؟ ولا سيما ان الكنيسة طلبت اليه أن يقارعها بالحجة وقد كان من الطبيعي أن ينتصر عليها لو أنه قبل ذلك ، لأنه على حق فيما يقول ، ولأن تعاليمها متناقضة لا يصح أن يقبل عالم مثله أن تذاع على الناس فيقبلوها كأنها حقائق ثابتة غير قابلة للبحث والتمحيص . ولكنه لم يبغ قتالاً مع الكنيسة ، بل سار معها موافقاً على كل ما طلبت اليه ، مكتفياً بالبقاء على عقيدته في نفسه واجداً فيها فضولياً متحرشاً واصفاً إياها (بأن واجبها هو تعليم الناس كيف يسيرون إلى عالم السموات ، لا كيف يسير العالم السماوي) .

وبذلك استطاع أن يجد في بعض الأحيان تعضيداً من سلطة الكنيسة ، ولولا المتعصبون الذين كانوا يضغطون عليه ويضطهدونه بين آونة وأخرى ، لما وقفت الكنيسة قط في وجهه ، بل كثيراً ما حماه البابوات والكرادلة ودرأوا عنه السوء ، بل كان يعلم بعضهم أنه على حق في بحوثه العلمية ، وكثيراً ما لجوا اليه بالمروب من أعدائه في الوقت المناسب .

وقد بعثت الكنيسة اليه يوماً بالكردينال بللارمن ليوبخه ويحذره ، ولكنه بدلاً من أن يفعل ذلك أرشده الى طريق التعبير عن نظرياته ، فكتب اليه (لا تقل إن الأرض تدور حول الشمس

(البقية على صفحة ٩٥٦)

القصص

الأمير السعيد

للكاتب الانجليزى أوسكار وايلد Oscar Wilde

ترجمة بقلم البوزباشى أحمد الطاهر

يقوم تمثال الأمير السعيد على عمود باسق يشرف على المدينة ، وقد كست التمثال لفائف من صفائح الذهب الخالص ، وجُعل له من الياقوت الأزرق عينان ، وأمسك بسيف فى قبضته ياقوتة حمراء . وكان هذا التمثال موضع الاعجاب والفخار من الناس أجمعين ، ينظر إليه عضو من أعضاء المجلس البلدى فيتحدث عنه ويتكلف الوصف والتشبيه حتى يقول « إنه لجميل ، وله من الجمال ما لديك الرياح ، وإن لم تكن له ما لذلك الديك من المنفعة » وكان هذا العضو يحاول ما استطاع فى تشدقه بالحديث أن يمتاز بما للفنانين من بديع الذوق ، وما للعمليين من صدق النظر ، .

وتمر بالتمثال إحدى العاملات وبيدها طفلها يبكى لأنها لم تستطع أن تجتذب إليه القمر ، وتقول له مفتخرة بالأمير السعيد « لم لا تكون يا بنى كهذا الأمير ، وما أحسبه بكى فى حياته من حاجته لشىء ؟ »

وينظر الى التمثال رجل قد شاع فى نفسه اليأس ويقول « كم يسرنى أن أرى على الأرض رجلاً قد حاز السعادة كاملة » .

ويطوف بالتمثال أطفال المبرة وهم منصرفون من الكنيسة فى أرديتهم القرمزية ، وعباءاتهم البيضاء الناصعة فيقولون « أليس هذا التمثال شبيها بالملائكة ! ! » فينهرهم أستاذ الرياضة فى حدة وجفاء مستنكراً هذا التشبيه «وانى لكم هذا وأنتم لم تروا واحداً من الملائكة ؟ » فيجيبه الأطفال « نحن لم نر الملائكة جهرة ولكنهم طافوا بنا فى أحلامنا » فيعبس أستاذهم ويتولى .

* * *

فى إحدى الليالى كان يطير فوق المدينة سنونو صغير ، وكان رفاقه قد رحلوا الى مصر وتقدموه بستة أسابيع وتخلف هو عنهم وقد فتن بحب مفردة تقطن شجر الغاب الذى يكتنف النهر ، وكانت أجمل بنات جنسها ، لقيها فى الربيع وهو يطارد يراعة كبيرة صفراء ، فأعجبه خصرها الناحل ، فكاشفها بحبه وابتدرها فى صراحة وبيان « أتأذنين لى فى حبك ؟ » فأومأت إليه إيماءة خفيفة ، فطار من فرط الفرح ، وكانت آية حبه أن يحلق فى الجو طائراً حولها يرتفع أحياناً ويسف بجناحيه أحياناً حتى يضرب بهما صفحة النهر ، فيخط عليه سطوراً من فضة كانت هى تقرأ فيها التحية والاجلال ، وكانت هذه تحيته طوال أشهر الصيف ،

ولقد شاع حديث حبه بين أبناء جنسه ، فتغامزوا عليه يتساءلون عن هذه الصلة التى توثقت بينه وبين المفردة ، وهى ليست بذات مال ، ولها من أقربائها عدد وفير ، وكان النهر غاصاً بامراب المفردات .

ثم رحل رفاق السنونو رحلة الخريف وشعر صاحبنا بعدهم بسأم الوحدة ، وشاع السأم فى نفسه حتى غشى حبه لصاحبته المفردة ، فبدا له مايعيبها من صمتها ، وحدثته نفسه بأنها فتاة مبتذلة ، ولا سيما وقد رآها تداعب الهواء فى خفة ودلال ! ! وهو ان وثق بما لها من طبيعة الاستقرار ، فلا يتفق طبعها مع ما جبل عليه من حب الاسفار ، ولن تكون له إذاً الزوجة الصالحة ، وصارحها يوماً برأيه فسألها « أتظعنين معى ؟ » فهزت رأسها مستنكرة أن تهجر وطنها . ولقد ساءه منها إباؤها ، وصاح فى وجهها « أنت إذاً كنت عابثة فى حبى ؟ سأرحل عن ديارك الى الأهرام ! ! وداعاً ! ! وداعاً ! ! » وطار

طوى نهاره طائراً وأدركه الليل عند المدينة ، فتحسس فيها مهبطاً سوياً ، وساءه أن المدينة لم تعد له العدة لهبوطه ، ثم تراءى له التمثال فطاب له النزول عليه ، واستهواه من المكان هواؤه العليل واتخذه بين قدمى الأمير مقعداً . ثم دار ببصره فى المكان يتبينه ، وقال معجباً « ما أجمله فراشاً من ذهب » ثم طوى رأسه تحت جناحه ، وما لبث أن أحس بقطرة من الماء تسقط عليه فعجب للسماء تمطر بغير سحاب ، والنجوم سافرة بغير حجاب ، وما له يعجب لهذا الجو وهو فى شمال أوربا أشد نكاية بالخلق وأبلغ إيذاء ، ثم خطرت له المفردة وحبها لوطنها المطير وقال «إنها لمؤثرة» ثم قطرة ثانية تسقط عليه فينحى باللائمة على هذا التمثال القائم « أما فيه على طول قامته عاصم من الأمطار ؟؟ . » « سآوى الى رأس مدخنة لعل فيها من المطر تقية » وهم بأن يطير فشخص ببصره الى السماء ورأى . . . . وما أعجب ما رأى . . . . غشيت الدموع عينى الأمير السعيد ، وهطل الدمع على خديه الذهبيين مدراراً ، وبدا وجهه تحت سنا البدر فى حلة من الجمال ،

أشفق السنونو من بكاء الأمير السعيد وقال له « من أنت؟ » قال « أنا الأمير السعيد » قال « وما بكاؤك فى هذه الساعة وقد بللتنى دموعك ؟ » قال « كنت حياً وكان لى قلب كقلوب الناس ، وما عرف الدمع الى عينى سبيلاً ، كنت أسكن قصر (البال الخالى) وكان الحزن لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ، وكنت أمضى سحابة اليوم ألهو وألعب مع رفاق بين الزهر والشجر ، وأقضى هزيعاً من الليل أطرب وأرقص فى بهوه الفسيح ، وكان يحيط بالقصر حائط لم أحفل بما وراءه ، وكان كل ما حولى جميلاً ، طربت لهذه الحياة حتى دعتنى حاشيتى بالأمير السعيد يحسبون السعادة فى الطرب . الى أن أدركنى الفناء فأقامونى على هذا الشرف ، أرى منه كل ما فى المدينة فلا يقع بصرى إلا على ما تكره الأبصار ، ولا يمتد إلا ليرتد حسيراً ، ولى قلب قد من الرصاص ولكن لا محيد لى عن البكاء . »

عجب السنونو فى نفسه من هذه القصة ، وزاد عجبه ان القلب قد قدّ من الرصاص ، والجسم من الذهب

قال الأمير فى صوت هادىء ونغم موسيقى ، : « فى أقصى المدينة دار فيها البؤس ، وفيها الشقاء ، وفيها أم قد ألح عليها الفقر العنيف . حتى شحب وجهها ، وغابت نضارتها . واحمرت يداها من فرط ما تعانيان من وخز الابر ، وهى جالسة الى منضدة وبين يديها ثوب من الحرير توشيه (بزهر المواطف) وتعده لأجمل وصيفات الملكة ، تريد أن تزدهى به فى مرقص يقام فى القصر غداً . وانى لأرى الأم من نافذة الدار وأرى ولدها الصغير طريح الفراش ، تضطرم فى أحشائه نار الحمى ، ولا عاصم له من شرها إلا شربة من عصير البرتقال ، وأنى لهذه الوالدة بعصير البرتقال ؟ — انها تسكب فى فمه ماء النهر ، وهو لا يروى صداه ، ولا يدفع جواه ، هذه رسالتى أيها السنونو الصغير ، اخلع عن قبضة سيفى هذه الياقوتة ، وألق بها بين يدى الأم البائسة ، فأنا فى موقفى هذا لا أستطيع حراكاً بما شدت به قدماى الى هذا العامود » .

برم السنونو بهذا الأمر واستعفى منه الأمير قائلاً « إن لى فى مصر من يترقب عودتى . أولئك هم رفاقى ترفرف أجنحتهم فوق نهر النيل يناجون أزهار اللوتس العظيمة ، وما أحسبهم الآن إلا آوين الى مضاجعهم فى مقبرة الملك العظيم ، المضطجع فى تابوته الموشى ، وقد ضمت لفائف التيل الأصفر جسده المحنط بالتوابل والأفاويه ، ويحيط بعنقه قلادة من الكديش الأخضر الشاحب ، وتمتد يداه كأوراق الشجر الذابلة . »

توسل الأمير السعيد للسنونو أن يقيم معه الليلة ، وأن يبلغ رسالته الى ذلك الطفل الصادى ، وتلك الأم الحزينة ، قال السنونو أنا لا أعطف على الأطفال ، فقد كنت فى الصيف الماضى مقيماً على النهر ، وكان هناك صبيان يحصباننى بالحصى وهما ولدا الطحان ، ولم يكن الحصى يصيبنى لما اشتهرت به طائفتنا من خفة الحركة ، وسرعة الطيران ، ولكن الذى يحزننى هو ما ينطوى عليه عملهما من المهانة لنا والتحقير لشأننا »

طافت بوجه الأمير سحابة حزن أشفق منها السنونو ولان قلبه وقال : « الآن طبت نفساً بالبقاء معك هذه الليلة ، وسأحمل رسالتك » وشكره الأمير ، واقتلع السنونو الياقوتة من قبضة السيف وضم عليها منقاره وطار ، . . . طار فوق برج الكنيسة ورأى تماثيل الملائكة قد قدت من الرخام الأبيض اذا رأيتها

حسبتها لؤلؤاً منثورا ، وطاف بالقصر الملكي فرأى مرقصاً ونعيماً ونوراً ، وخرجت الى شرفة القصر غادة جميلة مستندة الى ذراع صاحبها فأنصت إليهما فاذا الرجل يقول « ما أغرب الحب وما أشده » قالت الفتاة لاهية عن حديث الحب بحديث الثياب « ما أشد لهفتي على ثوبي الذي أعده لليلة المرقص ! لقد كلفت الحائكة وشيه بأزهار العواطف، ولكن الحائكة كسول ، » وطار فوق النهر وأبصر المصابيح تتدلى على ساريات المراكب ، وطاف بحي اليهود ، فرأى شيوخهم يتنازعون في البيع والشراء ، ويزنون الدراهم بموازين من نحاس ، وحط على الدار الحزينة ونظر من خلال النافذة فاذا الصبي يصطلي بنار الحمى فلا يهدأ مضجعه ، واذا الأم قد احتواها التعب فقامت الى فراشها . ونفذ السنونو الى الغرفة وألقى بالياقوتة على المنضدة ، ثم طاف يرفرف بجناحيه على الصبي . تحرك الصبي في مضجعه وقال « ما أعذب هذا النسيم العليل ، لعلي واجد من المرض خلاصاً » ثم أخذته سنة مريحة .

عاد السنونو إلى الأمير السعيد ، وقص عليه ما رأى وما فعل وقال « عجباً ! انني لأشعر بالدفء في هذا الجو البارد ! » قال الأمير « ذلك بما وفقت اليه من فعل الخير »

وساد صمت عميق ، كان السنونو فيه مطرقاً مفكراً وهو اذا فكر نام ! ! ولما انبثق الفجر طار الى النهر واغتسل بمائه فأبصره استاذ علم الطير ، وراعه أن يرى السنونو في فصل الشتاء ، وعد هذا من خوارق الطبيعة ، فحرر مقالا طويلا نشره في الصحيفة المحلية وقرأه الناس جميعاً ولم يفهموا منه شيئاً لأنه حشاه بألفاظ لا يفقهون لها معنى . قال السنونو وقد هزه الطرب « الليلة سأطير الى مصر » وقام يزور آثار المدينة وأعلامها ، فحط على مئذنة الكنيسة ، وطابت نفسه بالاستراحة عليها ثم طار ، وكان حيثما طار سمع تغريد العصافير يقول بعضها لبعض : « ما أعجب هذا الطائر وما أغربه ! » فلما استمتع من رحلته وطلع البدر خف الى الأمير السعيد وقال له « هل لديك رسالة أحملها الى مصر ، فأنا مبيمها الساعة »

قال الأمير السعيد « أيها السنونو الصغير هل لك أن تبقى معي الليلة ؟ » قال السنونو « إن لي بمصر رفاقا يترقبون عودتي . وما أحسبهم في الغداة الا طائرين الى الشلال الثاني ينعمون بطلعة فرس النهر مضطجعاً بين أوراق البردي ويسعدون بلقيا الآلهة ممنون جالساً على عرش من الجرانيت يناجي النجم طيلة الليل ، حتى اذا أقبلت نجمة الصباح حياها بصيحة عالية ثم لزم الصمت ، ويرقبون الأسود الصفراء ذات العيون الخضراء تنساب الى الشاطئ وتستقي ثم تزأر زأرة تذوب في صداها زأرة الشلال ، » قال الأمير « أيها السنونو الصغير ! في أقصى المدينة رجل يقيم في غرفة وقد أكب على أوراق بين يديه، وأمامه باقة من زهر البنفسج الذابل، وله شعر مجعد ، وشفتاه كحب الرمان ، وعيناه ناعستان ، أراه جاداً في نسج قصة تمثيلية يعدها لمدير المرسح وقد ألح عليه البرد والفقر فما يستطيع منهما خلاصاً ، وما يستطيع معهما التحرير ، »

قال السنونو وقد رق قلبه « ألى مقيم معك الليلة ، فهل أنت مرسل اليه بياقوته أخرى ؟ » قال الأمير « لقد نفد الياقوت الأحمر ، وما أملك الا عيني ، وهما من الجوهر الأزرق النادر ، جلبت حبتاهما من الف سنة من بلاد الهند ، فاقتلع واحدة منهما وخذها الى الرجل يبيعها للجوهري ويشتري طعاماً وناراً فيقوى على اتمام قصته » قال السنونو « أيها الأمير السعيد ، لا أقبل لي بما كلفتني ، وما أستطيع على بعض هذا صبراً » وذرفت عيناه . قال الأمير « افعل ما أمرتك به » وفعل ، وطار الى القصصي فنفذ الى غرفته من ثغرة في سقفها ، وكان الرجل قد أسند رأسه الى يديه فصمت أذناه ، ولم يسمع حفيف أجنحة السنونو ، ثم رفع رأسه وبهره بريق الجوهرة الزرقاء وسط باقة البنفسج الذابل ، فافتر ثغره عن ابتسامة فيها الزهو وفيها الاعجاب وقال : « لقد آن للناس أن يحسنوا تقديري ، ما أحسب هذه العطية الا من عظيم قد أعجب بقصصي وما أحسبني الآن الا قادراً على اتمام القصة » ثم أشرقت في نفسه السعادة ، .

وفي الغداة طار السنونو الى مرفأ المدينة وجلس الى سارية سفينة فأشرف على الحمالين وهم يجتذبون الصناديق الثقيلة وقد شدوها الى الحبال ، وألقى اليهم السمع وهم يصيحون جماعات كلما اجتذبوا صندوقاً فصاح بهم السنونو وقال « أنا طائر الى مصر » فلم يحفل به أحد ، ثم طار في ضوء القمر الى الأمير السعيد وقال « جئت الآن لأستودعك الله » قال الأمير « هل لك أن تبقى معي الليلة ؟ » قال « نحن في زمان الشتاء وسيشتد البرد بهذه المدينة

ومالى بها بعد اليوم مقام . سأطير الى مصر فأنعم بشمسها الحارة تنصب على رءوس النخل الأخضر ، وأسعد برؤية تماسيحها، وقد اطمأنت الى أرض رخوة واستمرأت الكسل ، ودارت عيونها تبصر ما حولها ، وما أحسب رفاق إلا جادين فى اتخاذ أعشاشهم فى معبد بعلبك ، ترقبهم أعين الحمامات الرقطاوات تتناجى بأعذب الأنغام ، أيها الأمير العزيز لست بعد اليوم مقيما ، وما أنسى فضلك وجودك ، وسأعود اليك فى الربيع وفى فمى جوهرتان جميلتان أعوضك بهما عن الجوهرتين اللتين جدت بهما ، ستكون احداهما أشد حمرة من الورد ، والأخرى أشد زرقة من البحر . » .

قال الأمير « هنا فى الميدان فتاة تبيع أعواد الكبريت ، ولقد سقطت الأعواد من يدها وأصابها البلل فما تصلح للبيع ، وستلقى الفتاة من أبيها نصباً ، وانى لأراها باكية ، وأراها حافية القدمين حاسرة الرأس ، . . اقتلع عيني الأخرى وجد بها عليها على أبائها يعفيها من سوط عذابه » قال السنونو « أما البقاء معك هذه الليلة فنعم ، وأما ماتأمرنى به فلا ! أتحسبني لا أعصيك فى هذه فاقتلع عينك فتصبح مكفوفاً ! ! » قال الأمير « بل لا تعص لى أمراً » . . . فما عصاه . . . !

وطاف فوق رأس الفتاة وأسقط الجوهرة فى يدها . قالت « ما أجمل هذه الزجاجة ! وسارعت الى بيتها ضاحكة مستبشرة ، » وعاد السنونو الى الأمير وقال له « أما الآن فحق على البقاء معك ، فقد أصبحت كفيفاً ولا غنى لك عني ! » قال الأمير المسكين « بل ارحل الى مصر » قال السنونو « مابى الى الرحلة حاجة ، ولن أبرح مقامك » وطوى رأسه تحت جناحيه واستكن بين قدمى الأمير »

وفى الغداة جلس على كتف الأمير وأخذ يقص عليه من أنباء الدنيا عجباً ، قص عليه أنباء طير مصر المعبود ، وكيف وقوفه على ضفتى النيل يمسك بين منقاريه سمكاً ذهبياً ، وقص عليه أنباء أبى الهول وقد عمر عمر الدنيا واتخذ الصحراء مسكناً ، وأوتى علم كل شئ ، وقص عليه أنباء التجار يسيرون الهوينى بجانب إبلهم وفى أيديهم مسابح من الكهرمان يذكرون عليها اسم الله ويسبحون بحمده ، وقص عليه أنباء الأرقط الذى يأوى الى سعف النخل ، وله من الكهنة سدنة عشرون يطعمونه فطيراً معسولا ، وقص عليه أنباء الأقزام وماشب بينهم وبين الفراش من حرب فى البحر ،

وألقى اليه الأمير السمع ثم قال « أيها السنونو الصغير ، فى حديثك العجب ، ولكني أرى فى شقاء الرجال وفى شقاء النساء ما هو أعجب ، ليس فى العالم مأساة أمعن فى الأسى من الشقاء » طر أيها السنونو فوق مدينتى . وائتني بأنباء ما ترى ، ومالا أرى .

طاف بالمدينة فرأى دوراً منجدة ، وقصوراً مشيدة . وأغنياء ينعمون وعلى أبوابهم سائلة محرومون ، :

وطار الى أزقة يغشاها الظلام فرأى أطفالاً يتضورون جوعاً . ترنو أبصارهم المتلهفة الى الشوارع المظلمة . ورأى تحت جسر صبيين قد استلقيا على الأرض متعانقين يتقيان شر البرد ، ويهمس أحدهما فى أذن الآخر « ما أشد الجوع » فينهرها حارس الليل ويقول « ما ينبغى لكما أن تقيما فى هذا المكان » فيفران وقد صب عليهما عذاب عنيف من الجوع والبرد والمطر . !

وعاد السنونو الى الأمير وحدثه بما رأى ، قال الأمير « هذه لفائف الذهب فوق جسدى فانزعها عنى ورقة ورقة وهبها الى الفقراء ، فقد جبل الناس على حب الذهب ، كأنهم يرون فيه السعادة . »

وقام السنونو ينزع الذهب عن الأمير ورقة بعد ورقة ، حتى بدا جسمه كالح اللون شاحبا ؛ وطاف بها على الفقراء يغدقها عليهم أرزاقاً ، فتهللت وجوه الأطفال واستخفهم الطرب ، فملأوا شوارع المدينة بشراً وسروراً وقالوا « لقد أوتينا طعاماً » .

ثم قسا الشتاء على المدينة وصب عليها صقيعه وجليده ، وتدلى الثلج من النوافذ ، وخرج الناس يبتغون أرزاقهم ، وقد اكتسوا الفراء ، وخرج الأطفال يلعبون ويتسابقون زحفاً على الثلوج ؛ كل هذا والسنونو تضنيه تباريح البرد ، ولكنه لا يبتغى عن الأمير حولا . يبتغى فى الأرض رزقه من فتات يسترقه من حانوت الخباز ، ويبتغى دفئه من تحريك جناحيه الضعيفين . ولكنه أحس أخيراً بدبيب الموت يسرى فى جسمه المقرور ، وأحس بقواه تضعف وتخور ، حتى لم يقو على أن يطير الا مرة واحدة يصعد بها الى كتف الأمير ، وقال « وداعاً أيها الأمير العزيز ، أتسمح لى أن أقبل يدك » قال الأمير « انى لسعيد بما عزمت عليه من الرحلة الى مصر — أيها السنونو الصغير — لقد طل مكثك

معى . خذها قبلة من فمى فانى أحبك » قال « مارحلتى الى مصر ولـكن الى دار البقـاء ، وما يفزعنى الموت فهو صنو النعاس ، أليس هو كذلك ؟ » ثم طبع على فم الأمير قبلة . . . ثم رفرف بجناحيه . . . وسقط بين قدميه . . . ميتاً » .

فى هذه اللحظة صمت فى جوف التمثال فرقعة داوية ، وكان قلبه وقد قد من الرصاص قد انشطر شطرين .

وفى الصباح مر عمدة المدينة بالميدان وحوله أعضاء المجلس البلدى فشهدوا التمثال وقد أصبح عاطلاً من حلاه ، وقال العمدة « ما أقبح منظر الأمير السعيد ! » قال أعضاء المجلس « حقاً ما أقبحه ! » وكانوا دائماً يرددون ما يقوله العمدة — ثم صعدوا الى التمثال ليتبينوا شأنه وقال العمدة « لقد ضاعت حلاه ، وسقطت عن قبضة سيفه ياقوتتها الحمراء ، وسقطت عن عينيه جوهرتاها الزرقاوان ، وتعطل جسده عن لفائف الذهب ، وهو بهذا لا يفضل الشحاذ الا قليلا » قال أعضاء المجلس « وهو لا يفضل الشحاذ الا قليلا » قال العمدة وها كم طائراً قد مات بين قدميه ، أرسلوا فى المدينة الى الطير نذيراً ألا يموت أحد فى هذا المكان ، وحرر كاتب المدينة اعلاناً كتب فيه « ممنوع موت الطيور هنا » .

وكوا تمثال الأمير السعيد ، وما بهم اليه من حاجة بعد أن زال عنه جماله ، ثم صهروا معدنه ، وعقد العمدة مجلساً يتشاورون فيما يستخدم فيه معدنه المصهور ، .

قال العمدة : « ما أرى الا أن نعملوا منه تمثالاً ، ويكون التمثال لى » وقال كل عضو من أعضاء المجلس : « ويكون التمثال لى » فدبت بينهم الشحناء ، وماج بعضهم فى بعض وما زالوا مختلفين ، .

قال أحد العمال الذين يصهرون معدن التمثال « هـذه قطعة من الرصاص لا تذوب فى النار ولا تلين » والقى بها على كومة القمامة ، وكان على الـكومة جثمان السنونو »

فلو قال الله للملائكته ائتونى باثنين من أعز ما لقيتم فى المدينة ، وأتاه الملائكة بقلب الأمير وجسم الطائر — لقال لهم « صدقتم فيما اخترتم — وسمعت جنتى هذا الطائر الصغير يغرد فيها ، وهذا الأمير السعيد يسبح بحمدى »

أحمد الطاهر

جاليليو

(بقية المنشور على صفحة ٩٥١)

بل قل لنفرض أنها تدور حول الشمس ، لأن من الخطر عليك أن تقول بأنها تدور ، ولـكنه من المأمون قولك بفرض دورانها) وبذلك ظل جاليليو يفرض فى الظاهر وهو مؤمن بالحقيقة فى الباطن مؤكداً أن الحق الغلبة فى النهاية .

وقد ولد اسحق نيوتن فى ٨ يناير سنة ١٦٤٢ ، وهو اليوم الذى توفى فيه جاليليو ، وبذلك بدأ فصل جديد من حيث انتهى آخر . ولم تؤيد نظرية الأرض وموقعها من المجموعة الشمسية ودورتها فقط ، بل أصبحت العقول تدرك جيداً حركات الـكواكب وقانونها أيضاً .

وقـد أصيب بالعمى فى أواخر حياته ، إلا أنه وهو أعمى كشف عن أقمار زحل ، وبحث ودرس البقع الشمسية مستعيناً على ذلك بتلاميذه بدل عينيه . وهو بشير لنيوتن وطليعة له ، واذا كان نيوتن هو الذى وضع قوانين الحركة وأثبت بالدقة الرياضية قانون الجاذبية بين الـكون المرئى والقاعدة المضبوطة لحركاته ، فان جاليليو هو الذى مهد إلى ذلك وقاد نيوتن الى الحقيقة الخالدة .

ولم يستطع أى بلاط بابوى فى هذا الوقت تقييد أفكاره الطامحة ، وأبحاثه العلمية ، بل اكتفى بارساله أخيراً من روما الى دير سينا ، وهو دير تطل جدرانه على سهول توسكانى ، اعتكف فيه أشهراً قلائل ، ثم سمح له بالعودة الى فلورنسا حيث قضى الأعوام الثمانية الأخيرة من حياته فى عزلة تامة امتثالاً لأمر روما ، إلا أنها عزلة لم تعرف قط السكون بل كان جاليليو فيها يغلى بأبحاثه كالرجل .

وقد لحقه الأسى وحلت به عاهته فى كبره ، وكان أعمى عند مازاره جون ملتون فى إركترى عام ١٦٣٨ ، وقد واصل رسالته العلمية وهو بعاهته فاخترع وأملى اختراعاته . وانتابته حمى بسيطة وهو يملى ملحوظاته على تلميذين من حواريه ، فأسدلت على حياته الطويلة ستاراً كثيفاً أبدياً ، ولـكن برغم ذلك بقى للعالم من هذه الحياة بحث خالد فى الأرض وعقل إنسانى جبار .

عبد الرحمن فهمى

الكتب

بحث فى نقد الادب العربى

بقلم محمد بديع شريف

مؤلف هذا الكتاب الموجز شاب عراقى ، يتلقى علومه فى مدرسة دار العلوم ، تكلم فيه عن النقد فى الأدب العربى من فجر تاريخه حتى يومنا هذا ، فأرانا كيف كان أهل الجاهلية يتحاكمون فى أشعارهم الى النابهين منهم كالنابغة وأضرابه ، ثم قص علينا حديثاً طريفاً عن النقد فى صدر الأسلام وفى عهد بنى أمية مشيراً الى ما كان عليه أهل هذين العصرين من سلامة الذوق وحسن الفهم والنزاهة كما يتضح فيما أورده من حديث عقيلة بنت عقيل ابن أبى طالب مع جميل وكثير والأحوص ، وانتقل الى العصر العباسى فأرانا كيف كان الخلفاء يهتمون بالنقد ويفطنون الى موازينه وأوضاعه ، وأخيراً تكلم عن النقد فى أيامنا ويعجبنى منه قوله فى ذلك « والنقد فى أيامنا يجرى فى البيت والبيتين ، وهو عند الصديقين الى تقارض المدح أقرب منه الى النقد ، وعند المغيظ المحنق أبعد عن النقد وأقرب الى السباب ، والمنصف بينهما قليل بل من القليل أقل » .

وختم المؤلف كتابه بكلمة عن النقد وموازينه وطرقه مورداً فى ذلك كثيراً من الأمثلة التى تدل على صدق نظره وحسن فهمه وسلامة ذوقه ، وهى باكورة تبشر بمستقبل أدبى باهر لهذا الطالب النجيب.

أما اسم الكتاب فقد يبدو لى غريباً أو منحرفاً عن موضوعه فكان أولى به أن يسميه بحث فى طرق النقد فى الأدب العربى ، فهو لا ينقد الأدب العربى كما يشعر بذلك عنوانه ، ولكنه يبحث فى أساليب النقد فى هذا الأدب قديمه وحديثه . م . الخفيف

مســـــعود

تأليف محمود ابو النجاة

يتوق كثير من شبابنا اليوم الى التأليف ، فأول ما يستهوى الشاب فى مستهل حياته الأدبية ، فترة المطالعة والتأمل والاستعداد ، أن يكون له كتاب يقرؤه الناس . لا جناح على الشاب أن يعمل على رفع نفسه ، بيد أن لكل غاية وسائلها ولكل أمر عدته ، ولا بد لمن يضطلع بالتأليف أن يكون له من الخبرة والنضوج ما يكفل له النجاح فى هذه المهمة الشاقة ، أما أن يعمد الشاب الى التأليف وهو لم يدر بعد ما القراءة ، فهذا الى العبث أقرب منه الى الجد ، بل هو الهزل بعينه ، وهذا الكتيب الذى أحدثك عنه مثل من أمثلة التسرع والشطط ، فهو رواية شعرية فى موضوع تافه لا يليق حتى لأسلوب « الحواديت » وحسبك أن تقرأ حواراً كهذا ولو على سبيل التندر والفكاهة

مسعود — ما العشاء الليلة ؟

سعيد — إنه جبن وعدس

مسعود (متأثراً) — كنت أرجو الفرخة

زينب — ماتت الفرخة أمس

ثم اقرأ احدى أغانيه وهى من أجود مقطوعاته

بسم الصبح ابتساما فيه آيات الجمال
فانحنى الزرع احتراما فى سكون وجلال
وشعاع الشمس ضاءا يملأ الآفاق نورا
وسرى الزهر هواءا يملأ الدنيا عبيرا

ودونك حوارا لذيذا بين المحضر والعمدة

المحضر : كم يملكون من العقار ؟

العمدة : عشرون فداناً ودار

الحد من جهة الشمال : أرض مسطحة بوار

ومن الجنوب المصرف : والغرب احمد ذو الفقار

والرواية كلها على هذا النحو وكم وددت لو اتسع المجال لأذكر لك طرفاً من ذلك الحوار البديع بين النائب والمحامى فى الجلسة ... !

وحي النسيب في شعر شوقي

تأليف احمد محمد الحوفي بدار العلوم

حاول المؤلف الشاب أن يبرهن على صدق عاطفة الحب عند شوقي، أو بعبارة أخرى أراد أن يقيم الدليل على أن الغزل في شعر شوقي نتيجة غرام حقيقي ملك قلب الشاعر الكبير ليبطل بذلك حجة الذين يقولون انه غزل لم تلهه عاطفة ولم يبعثه حب.

ابتدأ المؤلف الفاضل كتابه بكلمة في الغزل وأنواعه، ثم تكلم عن العلاقة بين الحب والشعر، وذكر طرفاً من غزل شوقي في الصبا والكبر، ثم شرح بصره بنفسية المحبين، وتعرض لشرح بيئته وصور نزعته الى الوصف وصلتها بالحب.

ولكنه لم يخرج في براهينه كثيراً عن ذكر أبيات شوقي في الغزل مستدلاً بها على صدق حبه مع أن تلك الأبيات هي التي يذكرها من ينكرون عليه هذا الحب مستشهدين بوجودها في مطلع بعض قصائده دون مناسبة أو داع، وكان أولى به أن يسلك في البرهان طريقاً غير هذا، فان اثبات مواقف معينة أو اقامة الدليل على صفة خاصة في حياة شاعر لا تتأتى إلا بذكر حوادث معينة واضحة، أو الاتيان بقرائن قوية توضح الغرض من شعره.

على أننا نحمد لهذا الشاب وأقرانه من طلاب دار العلوم نشاطهم واقبالهم على الأدب العربي بحثاً وتنقيباً، ويسرنا بنوع خاص أن ينهض الشباب لدراسة شعر شوقي من جميع نواحيه، ولنا أن نعتبر هذا الكتاب باكورة طيبة لهذا الشاب الأديب.

م. الخفيف

المدنية الأسلامية وأثرها في أوروبا

تأليف محمد سعيد بخت ولي

دعا المؤلف الى نشر هذا الكتاب كما يتضح من مقدمته ما يراه من اقبال الشبان على دراسة مدنية الغرب مع اغفالهم مدنية العرب والأسلام، ولقد تكلم في هذا الكتاب الصغير عن عظمة الاسلام في أول نشأته، ثم عن تقدم المسلمين في العلوم والمعارف والآداب، ثم عن قوى الاسلام البرية والبحرية في شتى عصوره، ثم عقد فصلا عن مبلغ ما أفاده أهل الغرب من الأسلام مستشهداً بعبارات من كلام مؤرخيهم

وانك لتلمس غيرة المؤلف وحماسته للأسلام في كتابه هذا على صغره، فلا يسعك إلا أن تشكره على هذه الأريحية، بيد أن الموضوع أوسع من أن يلم به كتيب كهذا لا تزيد صفحاته على السبعين.

م. الخفيف

العالم النبيل

تأليف موليير وتعريب فؤاد نور الدين

عرب هذه الرواية الظريفة التي تعد احدى طرف الأدب الفرنسي شاب من شباب سوريا، ولا ريب أن حاجة العالم العربي في هذه الأيام الى تعريب الآثار الغربية القيمة، حاجة شديدة ملحة، بيد أن الترجمة ليست كما يتوهم البعض من السهولة، وفضلاً عن ذلك فليس كل كتاب بصالح للنقل الى العربية، وأكبر ظني أن معرب هذه الرواية لم يتوخ الدقة في الاختيار، فالرواية يغلب عليها عنصر الفكاهة، وأسلوب الفكاهة في لغة غيره في لغة أخرى، هذا الى اختلاف الذوق العام في أمة عنه في أخرى وخصوصاً في الأدب الفكاهي، وهذه القصة بنوع خاص ينحصر جزء كبير من فكاهتها حول نطق الكلمات واخراج الحروف فكيف ينقل ذلك الى العربية؟ نقل المعرب الحروف الفرنسية كما هي، فكان موقفه أشبه بموقف ذلك الذي يتصدى لاضحاكك فلا تفهم ما يريد فتقابله بالوجوم فينقلب مرحه الى فتور.

غير أني لا أنكر على المعرب ما بذل من جهد وما توخى من كمال كما يتضح في كثير من عباراته.

سعادة الأسرة

للحكيم الروسي الأكبر ليو تولستوي

نقله الى العربية «مختار الوكيل»

لا تكاد تمضي في قراءة هذه الترجمة العربية للقصة الروسية البديعة حتى تشعر بدقة المعرب وسلامة أسلوبه من الضعف والابتذال، فألفاظه منتقاة وتراكيبه عربية وجمله متزنة، ثم انك لتشعر أيضاً بأن المعرب الفاضل يفهم الأصل فهماً صحيحاً فلا التواء في الحوادث ولا اضطراب في مجرى القصة كلها، هذا الى ما يشع من هذه الترجمة من روح الاتزان والحصافة والشغف بفن القصص مما كان له أكبر الأثر في انجاز هذا العمل على خير ما يرجى من طالب في كلية الحقوق لما يزل بين أعماله الدراسية المرهقة، وحسبك

أن تقرأ هذه الفقرة من مقدمة المعرب لتعرف الروح التي سيطرت عليه أثناء التعريب فهو يقول « أما بعد ، فغاية ما أطمع فيه من نقل هذه القصة الى لغتنا هو تغذية الفن القصصي الناشئ عندنا بضم عناصر قوية خالدة من الفن العالمي اليه ، فهل يا ترى ستحقق هذه الأمنية ؟ علم الله أنها غاية ما أتوق اليه ... ! »

ولا شك عندي أن تعريبه جاء مصداقاً لمقدمته المهذبة ؟

ديوان الفراتي

نظم محمد الفراتي

مطبعة بابيل اخوان — دمشق

يقع هذا الديوان في أربعين ومائتي صفحة من القطع الكبير، جيد الورق متقن الطبع قسم ناظمه ما جاء فيه من قصائد الى مصريات وسوريات وحجازيات وعراقيات وبحرينيات ! ولست أذكر ديواناً في هذا الحجم تنوعت قصائده على نحو ما تنوعت القصائد في هذا الديوان ، فلقد نظم الشاعر في الاجتماعيات وفي شكوى الزمان وفي الرثاء والمديح والعتاب ، وتغنى بحنينه الى البادية ، وتفاخر بمجد الأوائل ، ونظم يستنهض أهل عصره ، ثم نظم في الوصف فوصف الكهرباء وصاغ شعراً في الأكسيجين والنتروجين ! وناجى الكواكب ، ولم تكفه الأرض بما رحبت فطار على أجنحة الشعر الى المريخ ونظم قصائد في وصفه وشط به خياله فاخترع ألفاظاً أشار في الحواشي الى أنها من لغة المريخ !!

وهكذا أطلق الشاعر العنان لخياله في غير تحفظ ولا احتراس وسجل كل ما جادت به قريحته من غير حذف ولا إصلاح

من أجل ذلك أرجح أن الفراتي الفاضل يعني حقاً ما أثبته في مقدمة ديوانه اذ يقول « لم أنظمه للناس وانما نظمته لنفسي ، وحسبي أن نفسي عنه راضية ، ولم أقدم على نشره ليذيع اسمي ويشتهر ، وانما نشرته حرصاً عليه من الضياع » أقول اني أرجح له بعض ما كتب، وقد كنت أحسب ذلك منه تواضعاً أول الأمر، لي أنني لست أقصد بذلك أن الديوان لا يستحق النشر ، كلا به عدد من القصائد يستحق الشاعر من أجلها التهنئة الصادقة ، ثم أن شعره في الجملة مشرق الديباجة جيد الصياغة بله تنوعه المدهش، ومن قصائده البارعة قصيدته المسماة « درة في جبين الدهر » وأختها « نفثة مصدور » وقصيدته تحت عنوان « يا ابنة عمي » ومرثيته لسعد وغيرها .

وانما أقصد بما ذكرت أنه كان ينبغي أن يحذف الشاعر من ديوانه بعض القصائد التي لا تسمو الى مستوى شعره ، ولئن فعل فما كان ذلك بضائره، فبضاعته موفورة، ولا سيما وأن هذا هو الجزء الأول، وخير له أن ينتقي من الجزءين ديواناً جيداً . ثم ليسمح لي أن أنبهه في احترام الى ألفاظ استعملها بكثرة وهي في زعمي مما يمجه الذوق الشعري « كالقطقط والعجنفل والصنبر وتنفنف اللوح وغيرها مما يجب أن يخلص منها شعر الفراتي ؟

صحيفة مدارس الأقباط الخيرية الكبرى بطنطا

هذه الصحيفة التي تفضل حضرة المربي الفاضل ناظر مدارس الأقباط بطنطا بأهدائها الى الرسالة ، هي باكورة أعمال الطلبة وأول ثمرة لجهودهم الأدبية الفنية ، فاذا قلبتها أعجبك وسرك أن تكون تلك الباكورة على خير ما تكون عليه المجلات المدرسية من دقة وجمال وحسن نظام ، واذا قرأتها حمدت لأصحابها روحهم الطيبة التي تتجلى في اخلاصهم لمدرستهم وبلادهم ، فالصحيفة مليئة بدروس الوطنية ، حافلة بالأبحاث المتنوعة في الاجتماع والاقتصاد والتاريخ والعلوم والآداب ، والذي نغتبط له بنوع خاص أن هذه الأبحاث التي كتبها الطلاب من عملهم هم لم يعمدوا فيها الى نقل أو تلفيق، بل هي أصدق صورة لعواطفهم وآمالهم ، واذا أنت قارنت بين هذه الصحيفة وأمثالها مما يظهر في مدارسنا اليوم ، وبين الصحف التي كانت تصدرها المدارس منذ بضع سنوات أحسست بتقدم الطلاب في فهم العالم الذي يحيط بهم ، واستبشرت بالخير لبلادنا على أيدي هؤلاء الشبان الذين نعتبرهم عدة الحاضر ورسل المستقبل .

صحيفة مدارس الأهرام

تفضل حضرة المربي الفاضل ناظر مدارس الأهرام فأهدى صحيفة مدارسه الى الرسالة أيضاً ، وتلك الصحيفة في مرحلتها الثالثة، متقنة الطبع، أنيقة الشكل ، كبيرة الحجم ، وهي كأختها السالفة دقة

وحسن نظام ، تشرق صفحاتها الغر بقيم البحث فى شتى المواضيع ، كما أنها ثمرة خالصة لجهود الطلاب ، ومرآة صادقة لمواطفهم وميولهم ، التى تنهض دليلاً على وصول التعليم الأهلى فى بلادنا الى درجة يغبط عليها ، فالصحيفتان ناطقتان بما يرفع رأس رجال التعليم الحر ، وما جاء فيهما على ألسنة أبنائهم شاهد بما يبثونه فى قلوبهم من الفضائل وما يغذون به عقولهم من المعارف .

هذا ونجد فى الصحيفتين طائفة من الصور البديعة للجمعيات المدرسية المختلفة ، والفرق الرياضية المتنوعة تتوج كلا منهما صورة صاحب السمو الكشاف الأعظم أمير الصعيد كما تتصدر الصحيفتين صورة جلالة الملك مما يكسبهما جلالاً وعزة .

الدوق دى لاروشفوكو

(بقية المنشور على صفحة ٩٤٩)

وذكر معاصروه أنه كان دقيقاً فى الحكم على الكتب التى تعرض عليه ، وأنه كان يحب قراءة الكتب القيمة التى تتطلب الحوار والمناقشة ، وترغم العقل على التفكير العميق . وكان من أحب الأشياء الى نفسه أن يستمع الى حديث ذوى العقول الراجحة اذا تكلموا فى الموضوعات الجدية وجعلوا للأخلاق النصيب الأكبر من حديثهم . وهذا يدلنا على ولعه الطبعى بكتابة المواعظ

ومن تاريخ حياته يتبين لنا أنه كان مشغوفا بالنساء فى كل أدوار حياته . ولا يذكر اسمه فى كل دور الا مقروناً باسم امرأة تحمل لقباً كبيراً ، أولها فى تاريخ الأدب ذكراً جميلا . واللهجة التى استعملها فى كلامه عن عفة النساء ، هى لهجة الرجل الغني العظيم الحب الذى لم يصادف فى حياته امرأة تدمى قلبه بالصد والدلال

وكان يفضل مجلس النساء على مجلس الرجال . يدلنا على ذلك قوله : « إنى أحترم النساء وأعاملهن فى أدب جم ورفق كثير ، وأعتقد أنى لم أقل قط أمامهن كلمة تؤذى شعورهن . (ولكنه آلم الدوقة دى لونجفيل فى مذكراته ، وآلم النساء جميعاً فى مواعظه) وأفضل حديثهن ، إذا كن حصيفات العقل ، على حديث الرجال ، لأنى أجد فيه عذوبة وسحرا . ويخيل الى أنهن يعبرن عن أفكارهن فى وضوح وجلاء أكثر منا ، ويضعن أقوالهن فى أسلوب بهيج يسر النفس والخاطر »

ومن حسن حظه أن ساق اليه القدر الكونتس دى لافايت فى شيخوخته ، تؤنسه وتنسيه مرارة الحياة وتهيىء له أسباب الهدوء والسعادة الروحية

يتبع

حسن صادق

تذكروا

يوم ١٥ يونيه المقبل

واحجزوا محلاتكم من الآن على

الباخرة النيل

مركز الشركة بعمارة بنك مصر القاهرة وفرعها بالاسكندرية بشارع فؤاد الأول رقم ١٤ ومن مكاتب مصر للسياحة وكوك والانجلو امير كان وجميع مكاتب السياحة الاخرى